فيض الوهـــــاب

فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب

بقلم

علامة عصره ووحيد دهره

الشيخ عبد ربه بن سليمان بن محمد بن سليمان

« الشهير بالقليوبى »

احد علماء الأزهر الأعلام ، الخادم للسنة المطهرة
الذى تنتهى إليه اسانيد السنة جمعاء فى هذا العصر
والذى لم يسبقه احـــد فى شرح جامع الأصـــول
لأحـــاديث رســـول الله ﷺ لابن الأثيـــر

سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م

الباب الثانى

فى تفصيل الرد وفيه فصول

الفصـــل الاول

فى الرد على شبهة من يقول : بأن لله تعالى جهة ومكانا

من قولهم : فوق العرش ؟! وفى السماء ؟! من جميع فرق الضلال من المسلمين وغيرهم وهى أول الشبه المحصورة المتقدمة ٠

نقول : غير خاف على من نور الله تعالى بصيرته ، وميز بين الحق والباطل ،والضلال والهدى ، وله أدنى اطلاع على كتب المتقدمين والمتأخرين ٠

أن أول من جمع وأظهر ما كتب فى كتب الحـــرورية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والقدرية ، وغيـرهم ممن خالفـوا اجماع المسلمين ، وحادوا عن الجادة والطريق المسـتقيم ، هو ذلكم الذى اتخذوه اماما لهم ،وعمدة لما تسمعه الان ممن يدعون الى الزيغ ، والبهتان ، ومخالفة الاجمـاع ، وأهل الحق من علماء المسلمين ، وقد مال الى ذلك ونزع اليه من نشأته الى مماته ، وكان علماء عصره كلما سمعوا أنه كتب رسالة فى المخالف ، أجمعوا على طلب محاكمته ، فيودع بها السجون ، حتى يعلن توبته وبراءته مما كتبت يداه ، فيفرج عنه ويؤمر بمغادرة هذه الجهة ، فينتقل الى جهة أخرى ، فيحدث بها أمرا مخالفا أيضا فى أمر آخر فى الدين ، فيودع بسببه السجن ، وهكذا حتى قضى حياته سجينا ،ومات باحد تلك السجون ٠ وأحد تلامذته الذى سـجن معه أخيرا ، لم

يخرج من السجن الا بعد دفن شيخه ، واعلان توبته التى ظاهرها موافقة المسلمين ٠

وكانت تلك الرسائل التى كان يعاقب عليها بهـذه الذلة والهوان تحفظ عند من نشـئوا على نشـأته ، وشربوا من مشربه ، حتى كانت توزع بينهم سرا خشية أن يعلم بها أحد من أهل الحق ، اعجابا برأيه المخالف الذى يظهـر لهم أنه من ذكائه ونبوغه ، وهم يجهلون ما اطلـع هو عليـه فى جولاته وبحثه عن المخالف لاغير ، وأخذ عنه ومنه ووصـل اليه من كتب المخالفين وضلوا بها فى فهم معنى كلام رب العالمين وسنة سيد المرسـلين وكان لايعجبـه الا الكتـاب المخالف لاجماع المسـلمين وها هو ذا ـ رد الدرامى على تلميذ بشر المريسى ـ المطبوع بمطبعة أنصار السنة سـنة ١٣٥٨ هـ يقول : لمشرف على طبعه ان الامام كان يمتدح هذا الكتاب ويحث على الاطلاع عليه وقراءته ـ وهو من أشنع كتب المخالفين اذ أثبت فيه مؤلفه ان الله تعالى فى السماء ولا يصح أن يتصل بالحشائش والقاذورات ٠ ويقول المشرف على طبعة فى تعليقه «أليس من له جهة خيرا ممن ليس له جهة ؟ » ٠

فاعلم أنهم على مبدأ واحد لاحقهم كسابقهم عصم الله الامة الاسلامية من شرورهم ٠

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن أحد العلماء أذاع فى الراديو بتاريخ ١٩٥٥/١/٦ أن عمل الغير لاينفع الغير مسـتدلا بقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقال وأطنب الى أن قابلته فقلت له ، أذعت كذا وكذا ٠يظهر انك لم تصل على أحد من موتى المسلمين ٠ ولم شرعت صلاة الجنـازة على يد من أسند الله تعالى لحضرته البيان والتبين ٠ أليس

ذلك كافيا فى أن عمل الغير ينفع الغير وسيأتى الكلام فى هذا الموضوع ٠

وأعلم ان امامهم قد ضل فى معرفة أصل أصول العقائد الاسلامية ؟ وهى معرفة الله تعالى بالقدر الممكن للبشر بصفاته الواجبة عقلا ونقلا ـ ضلالا بعيدا ـ ولا يخفى عليك أن كل من ضل فى معرفة الله تعالى ضل فى معرفة كل شىء ٠

واعلم أيضا ان تلك الرسائل التى هى المتكأ لكل داعية لهذا المبدأ كانت لاتظهر فى الازمان الماضية ليقظة اهل الحق وقلة الفاسدين من المجتمع الذين فيهم الاستعداد لقبول الشر وكان الدعاة منهم فى تلك الازمنة ينتهزون الفرص ٠ وكل من يدعو بها يلاقى جزاءه جزاء أوفى ٠ وقد ذكرت لك المثل المشهور «لكل نمروذ ابراهيم ٠ ولكل فرعون موسى ٠ ولكل ضال محمدى » حتى أتاحت لهم الفرص الظهور على يد من أضله الله تعالى وجهر بالدعوة بها ٠ وهو معروف فى كتب التاريخ وأهم ما يقولون به فى معرفة الله تعالى أنهم يثبتون له تعالى المكان والجوارح كخلقه ، وأنه يتحرك ويسكن ، ونسج على منوالهم كل من كان على هذا المبدأ الفاسد والعقيدة الزائفة الضالة ٠

فلا ترى لهم كتابا فى معرفة الله تعالى من السابق الى اللاحق ٠ حتى الان والمبدأ واحد على ما سنبينه لك من كتبهم بالنص الصحيح الصريح ٠

قال امامهم فى رسالته المسماة «بالعقيدة الواسطية» المطبوعة بمطبعة أنصار السنة باشراف رئيسهم سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦ م ص ١٦٢ فى ثبوت الجهة والمكان لله تعالى وأنه فوق العرش مستقرا وعدد ما استدل به على ذلك ٠ فى سبعة مواضع من القرآن الكريم فى سورة الاعراف ٠ وفى سورة

يونس • وفى سورة الرعد • وفى سورة طه • وفى سورة الفرقان • وفى سورة الم السجدة • وفى سورة الحديد الى أن قال فى ص ١٦٩ ما نصه وهو : سبحانه فوق سمواته على عرشة على على خلقه مباين لهم ، الى أن قال : وليس معنى قوله وهو معكم • انه مختلط بالخلق فان هذا لاتوجبه اللغة •

ولاتعجب لجمعه هذه الايات السبع التى فى القرآن المجيد بخصوص الاستواء على العرش بل هى عادته فى كل استدلالاته • لكل مخالف ليوهم القارىء أنه اتى بها كلها للتأكيد والواقع أن كل آية لها معنى مستقل يغاير الأخرى كما ستعرفه قريبا ان شاء الله تعالى •

واليك نبذه فى عادته هذه أيضا التى ضلل بها الكثير وهى أنه أتى بجميع الآى التى فى القران الكريم التى فهم منها ان الله تعالى فى السماء ولم يفهم أن الله تعالى • قرب المعانى فى هذه الآيات لعقول عباده المؤمنين كما ستعرفه ان شاء الله تعالى قريبا •

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القرآن العزيز فى معنى• الاستواء ثم استوى على سوقه • واستوت على الجودى • ولما بلغ أشده واستوى •

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القرآن العزيز • التى أراد أن يستدل بها • على أن الله تعالى ينزل ويتحرك ، بجميع آى النزول (وأنزلنا من السماء ماء) تنزل الملائكة والروح • نزل به الروح الأمين • وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج • وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد • والميزان • ولكنه لم يقل لنا أين أنزل الله تعالى الحديد حتى نأتى به من مكانه ـ ولا الأنعام فى أى جهة لنأتى بها منها •والميزان كنا نذهب اليه ونأتى به •

وأيضا أتى بجميع الآى التى فى القــرآن الحكيم فى الاولياء ـ من شياطين وكافرين • وغيرهم • فى كتــابه الفرقان • على ماسنوضحه لك ان شاء الله تعالى •

وهكذا فى جميع مؤلفاته التى لم يفطن لها الا من نور الله بصيرته وشاء هدايته • وابعاده عن فرق الضالين • واما من نشأه الله تعالى على قبول هذه المعتقدات الفاسدة والمخالفات النابية فانه يعتنقها ويتقبلهــا بقبول حسن • بل لايحيــد عنها ويعضد أمثاله ممن هو على مبدئه فى تلك العقائد ـ قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه)

الرد بالعقــــل

لو كان هذا اللفظ مكررا من مخلوق على العــرش • فى معنى وحد لكان مستقبحا • فكيف يكون من الخالق جل وعلا كذلك ؟ اذن لابد أن يكون لكل اية منها معنى مستقل مناسب للمقام الذى سبقت الاية لأجله •

ولايجوز أن تتحد معانى الآيات المختلفة فى أســباب النزول وعلى ما سنبينه قريبا • لأن تكرارها لمعنى واحـد تعده اللغة لغوا ينبو عنه أدنى أساليب البلاغة فضـلا عن الأسلوب المعجز المتحدى به •

وهذ هو ما فهمه المحققون،وأجمع عليه العلماء العاملون فصارت دعوى التوكيد هنا مما يتنافى مع أسلوب القـرآن الحكيم •

وأيضا نقول له أين كان جل شأنه قبل أن يخلق العرش ؟ وهو الآن أكبر أم العرش أكبر؟وعلى كل : فالحامل أكبر من المحمول قوة • فكيف يصلى هذا ومن على تلك المبــادىء الخاطئة • ويفتح صلاته بقوله : الله أكبر !! أين كبـره من

عرشه الحامل له ؟هذا وكيف يكون غنيا سبحانه وهو محتاج الى العرش الحامل له ؟ وما معنى لا اله الا الله : يا شيخ الاسلام يا تقى الدين . يا أبا العباس . يا مجد . يا امام ؟ هل العرش مفتقر الى الله ؟ أم الله تعالى المفتقر اليه ؟ اذن فمعنى استوى على العرش ليس أستقر على ما فهم هذا الامام . وهذا أحد أدلتنا العقليـــة التى هى من فيض الله تعالى ولم يسبقنا بها أحد .

ثم يقول فى هذه الرسالة فى ص ١٦٣ فى اثبات كون الله تعالى فى السماء . مستدلا بقوله تعالى (يا عيسى أنى متوفيك ورافعك الى) (بل رفعه الله اليه) ـ (اليه يصـعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ـ (ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلـع الى له موسى لأظنة كاذبا) . (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ، أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) .

نقول له أيضا : من المقرر عقلا ونقـلا أن الســموات حادثة . وكل حادث له أول وآخر . والله تعـالى يا أيهـا المتابعون لشيخ سلامكما فيها . أى مظروف . اذن فهى أكبر من الله تعالى ؟ اذ الظرف أكبر من المظروف فكـــان لزاما عليه وعلى كل ضال مقلد له أنيقول فى صلاته حين الدخول فيها السماء أكبر : لأنها أكبر من الله تعالى . وهو مظروف فيها أصغر منها ـ وما يقول شيخ الاسلام فى قوله تعـالى : (يوم نطوى السماء) : أين يذهب جل وعلا ؟ .

ويقول فى الرسالة السابعة ضمن رسائله المطبوعة بمصر بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٣ هـ ص ٢٨٦ : وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ويقول فى هذه الرسالة منكرا على اخوانه الجهمية فى بعض عقـــائدهم الضـالة

بأنهم خالفوه اذ يقول فى ص ٢١٣ : أنه تعالى ليس فوق العرش ولافوق السموات : كان غرضه أن يوافقوه فى اثبات الجسمية : حيث قال فى الرسالة التاسعة ص ٣٩٥ من هذه المجموعة انه سبحانه فوق سمواته على عرشه على على خلقه :

ثم أنه ذكر فى الرسالة الحادية عشرة من هذه المجموعة صفحة ٤١٨ ـ ٤١٩ فاثبت فيها أن الله فوق العرش ، وفى السماء ، مستدلا بالايات والاحاديث على ما فهم • فقال : ان الله سبحانه وتعالى فوق كل شىء ، وعلى كل شىء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (انى متوفيك ورافعك الى) (أأمنتم م نفى السماء أن يخسف بكم الارض)

(أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) (بل رفعه الله اليه) • (تعرج الملائكة والروح اليه) • (يخافون ربهم من فوقهم) (ثم استوى على العرش) فى سبعة موضع:

(الرحمن على العرش استوى) (ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنة كاذبا) (تنزيل من حكيم حميد) (منزل منربك) الى أمثال ذلك مما لايكاد يحصى الا بكلفة •

قال : وفى الأحاديث الصحاح والحسان مما لايحصى مثل : ـ قصة معراج الرسول ﷺ الى ربه • ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه • وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم • وفى الصحيح فى حديث الخوارج «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأيتنى خبر السماء صباحا ومساء » وفى حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمه أمرك فى السماء والارض كما رحمتك فى السماء أجعل رحمتك فى

الأرض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع . وقال ﷺ : اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه فليقل : ربنا الله الذى فى السماء . وذكره وقوله فى حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه ،وهو يعلم ما أنتم عليه . وقوله : فى حديث قبض الروح حتى يعرج به الى السماء التى فيها الله أ هـ .

أقول لك يا أخى جميع رسائله يثبت فيها أن الله فوق العرش ، وفى السماء ، ومع خلقه بعلمه بهم ، لأن ذاته فوق العرش وفى كتاب رد الدرامى على تلميذ بشر المريسى : لا يصح أنه تعالى يخالط الحشائش والبهائم والقاذورت .

ويقول المشرف على طبعه فى تعليقه عليه بقوله : أليس من تعرف جهته خيرا ممن لاتعرف له جهة - يعنى انه مؤمن بأن الله تعالى فوق العرش وفى السموات ولست ادرى كيف يعبر هذا الامام عن الحق عز وجل بأنذاته فوق العرش وفى السماء ؟ مع أننا لم نصل فى المعرفة الى حقيقة آثار صفاته فكيف نعرف صفاته جل وعلا . فضلا عن ذاته حتى نعبر عنها بالجهة والمكان ؟

أنظر يا أخى كيف يعبر هذا الامام ويصف ذات الحق بأنه سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه لا يعنى منفصلا عنهم ، مع أنك لاتعقل المنفصل الا اذا كان محدودا ونهايةالحد هى الفاصل بينه وبين المحاذى له فقد وصف الحق عز وجل بصفة الحوادث ، لأنه لايحد الا الحادث والله تعالى منزه عن الحدود والجهات .

هذا وقد أطبق العقلاء كافة على أنه تعالى لا يوصف بالانفصال عن خلقه ولا بالاتصال بهم ، لأن الذى يوصف

بذلك هو الحادث فقط والله تعالى منزه عن ذلك .

أنظر يا أخى فيما قلت لك سابقا عنه بأنه مضطرب العبارة متضارب الأفكار متعارض المعانى .

وتأمل فيما قدمته لك من جمعه للايات انه تعالى فوق عرشه فى سمائه مباين لخلقه بذاته ، معهم ، فوقهم بمكانه .

وأعرف أنه مع اخوانه الضالين قبله الذين هم على قدم ابليس اللعين ، بأنه يستدل بعقائدهم التى قصها لنا جل ذكره عن عقائد الكافرين ، ومن استوتهم الشياطين ، فعارضوا المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم فى دعوتهم الى الحق عز وجل قال تعالى حكاية عن فرعون ومن على مبادئه : (ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى آله موسى وانى لاظنه كاذبا) .

اخذ هذا الامام الآية دليلا له على أن الله تعالى فى السماء كما ظن فرعون قرينه فى الضلال ، وضم اليها الايات التى فهم منها أنه تعالى فى السماء كقوله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (ورافعك الى) (تعرج الملائكة والروح اليه) (أأمنتم من فى السماء) وغيرهم من هذه الآيات التى ستأتى :

أليست هذهعقيدة اليهود والنصارى والبهائيةوالقاديانية والاسماعيلية وغيرهم ومن على قدم ابليس من الضالين الذين أغواهم وحاد بهم عن الجادة والطريق المستقيم ، وصاروا من حزبه أجمعين .

لعلك تفهم أسرار قول الحق عز وجل فى كتابه العزيز حيث قال جل وعلا : (يضل به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وتتدبر حكم الحكيم العليم فى خلقه ، من أنه أوجدهم على قبول واستعداد الحالتين : الضلالة . والهدى

فمن أغواه واستهواه الشيطان ، اتجه لكل مبعد عن الطريق المستقيم ، وخالف فيه اجماع المؤمنين ، واستدل من نفس القرآن الكريم على ما فهمه منانه هو الحق وماعداه مخالف للمعنى المراد من كلام رب العالمين ، ولو كان موفقا لعقيدة الكافرين ٠

فانظر يا أخى الى هذا الذى يأخذ من القرآن الكريم ما يستدل به على عقائد الزائغين المخالفين ويكون معهم ضد اجماع المسلمين على أن الله تعالى فى السماء ميلا عن الحق وارضاء لشهوة نفسه حبا للظهور ولو بالمخالف لاجماع المسلمين ، وبيان سيد المرسلين ، ولم يفطن أن هذا يوافق عقائد الكافرين ومن هم على عقائد ابليس اللعين ، ضد بيان الحق عز وجل لأنبيائه والمرسلين ٠

فتعرف من هنا ، أنهم ضلوا وستدلوا على ماهم عليه من القرآن والسنة بمقتضى تفهماتهم وتاولاتهم فيما يوافق أهواءهم وميولهم ٠

فالقرآن الكريم لاشتماله على كل شىء من أستدلالات الضالين واستدلالات المتهدين ، مصداق قوله تعالى : (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) (وتبيانا لكل شىء) فمن كان على الهدى يأخذمنه ويؤول بما يوافق العقل والنقل واجماع المتهدين والضال يجد فيه حاجته ، فيأخذ منه ويؤول على حسب هواه ولاينظر الى المخالفة ولا يبالى بها ، وهذا من مصداق قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) هذا ما يفهمه من له أدنى مسكة من عقل من متبادر الألفاظ ٠

الرد بالنقل

واليك الرد عليه من النقل : الكتاب والسنة ، المطابقين لما قدمناه لك من العقل الذى فهمت منه سوء تفهماتهم ،

ووجهة ضلالاتهم ، وتباين مخالفتهم ، ضد ما أطبق عليه عقلاء الأمه الاسلامية واجماعهم على عكس ما ضلوا به ، وأنهم على الضلال الذى هو ضد الحق .

فنقول : لايخفى على أى مسلم له أدنى المام بأصول الدين على التواتر والشهرة ، ان الأمة الاسلامية هى المعصومة ، المنوة شانها فى قوله تعالى:(كنتم خير أمه أخرجت للناس) الآية . وهذه الأمة تنقسم الى قسمين : -

سلف ، وخلف .

فالسلف هم من صدر الصحابة الى الاربعمائة . والخلف هم من ذلك الى وقتنا هذا .

وقد اشتهر عن السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، أنهم يفوضون العلم الى الله تعالى فى جميع المتشابه من آى القرآن الحكيم والأحاديث القدسية ، والنبوية ، أى : فى جميع ماصح عنه ﷺ مما تشابه لفظه وخفى معناه . يقولون فيه : نؤمن به ، ونصرفه عن الظاهر ، وتفوض العلم المراد منه الى الله تعالى تمسكا بقوله تعالى : (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) .

والخلف :يؤولون جميع ذلك بمقتضى قواعد اللغة العربية التى جاء بها القرآن الكريم ، ووردت بها السنة المطهرة ، فيحملون كل لفظ متشابه على معنى معين توافقه اللغة وينصره العقل السليم ، والنقل المحكم ، اسنادا الى قوله تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) اذ عطفوا الراسخون فى العلم على لفظ الجلالة ، وعلى هذا فالأخذ بظاهر المتشابه دون تأويل على أحد الوجهين المذكورين مما اتفقت الملة ،وأجمعت الامة على زيفه وضلاله كما أشار اليه النص فى أمر المتشابة ، وهو قوله تعالى :

(فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) ٠

ومما لاينكره العقل السليم ، بل والفطرة الالهية ، أن واضع الألفاظ التى يحصل بها التفاهم والتخاطب هو الحق سبحانه وتعالى ، ولمقتضى كماله جعل اللفظ الواحد يحتمل عدة معان ، وجعل لكل معنى منها وضعا مناسبا لايتعداه، وأن صرفه الى غيره الذى لايتناسب مع العقل والنقل والوضع اللغوى معه غير مستقيم ، وأيضا تكون تعديته الى غيره أمر مخلا بنظم الكلام اللائق بالوضع المناسب له ٠

وألهم سبحانه وتعالى كل من نهج على ذلك من مختلف لغات وألسنة بنى البشر حسنه وقبوله ، وعلى هذا جاء التنزيل السماوى فى جميع الأديان ، وخاصة خاتم الكتب والأديان ٠ فمن وافق فهمه المعنى المراد من التنزيل من وضع المعنى المناسب للفظ الموضوع له اللائق به كان موافقا للعقل المحكم ٠ ويكون صاحب هذا الفهم فى عرف الشرع وعقلاء الناس من المتهدين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

ومن نحا الى غيره وأتبع نفسه هواها فيشذ ليظهر بالمخالفة ـ يسمى من الضالين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ٠

واذا كان هذا فى كلام البشر فلا يسعنا الا أن نقول فى كلام رب العالمين : أنه أعم وأوسع احتمالا ، كما فى قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك الى) ٠

فالوفاة له اثمان معان على ماذكره الألوسى من اللغة

وعليه الاجماع ،وقد كتب بعضهم فى هذا العصر وأخذ المراد له من تلك المعانى بأن الوفاة بمعنى الموت وترك كل معنى مناسب للمقام ، وقال : ان سيدنا عيسى عليه السلام مات وانتهى ، ليرضى به الفاديانية فى الهند واليهود وغيرهم ٠ وأخذ ابن تيمية من معنى «الى» وعنى بها المكان والجهة وترك كل المعانى المرادة فى معنى «الى» التى عليها الاجماع وخالف ٠و لم يتمسك الا بالمكان والجهة ، وهكذا شأن المخالفين من الضالين ومن هم على قدم ابليس اللعين بالمخالفة ضد الحق وأهله ، فمثل هذا الانحراف والخروج على الاجماع فى فهم المعانى من مصداق قوله تعالى : (يضل به كثيرا) لأن المعانى لاتفهم الا من الألفاظ والألفاظ لاتفهم الا من الوضع والمقام الملائم له الذى يفهم كل معنى منه بواسطة ما يتصل به من القرائن والأحوال ٠

فمن أراد أخذ معنى لفظ ذى معان تعين عليه الرجوع الى اللغة التى تعد العمدة ، والمرشد الأوحد فى صرف اللفظ الى أحد معانية ، وهيهات أن يهتدى الى فهم المتشابة من ليست له دراية باللغة وأساليبها ، وطرق استعمال ألفاظها ، ولو كان ممن أوتى من العقل نصيبا أوفر وحظا أكبر ، اذ ليس معانى الألفاظ مما تستقل بالتصرف فيه العقول والافهام والا لم تكن الألفاظ موضوعة لمعان وضعا لغويا ٠

واذن فمن أراد ان يحمل لفظا على معنى ، سواء فى المركبات أو المفردات ، وجب عليه وجوبا حتميا أن يقف على اللغة وقوفا يؤهله للتصرف فى الألفاظ تصرف حمل على بعض المعانى ومنع لها عن البعض الآخر ٠ والا كان تصرفه تجنبا على اللغة وجناية على الدين ، قد تفضى به الى شر المصائر ، وأسوأ العواقب أعاذنا الله من ذلك ،

وبهذ أنجلى لك سر رواية المتنطعين فى هـذا العصر ممن زعموا أن القرآن والسنة كسائر الكلام العـادى الذى نشأ الانسان على فهمه دون رجوع الى أصحاب المذاهب ، أو من يشتغلون بالتفسير والتأويل من أهل العـلم حتى بلغ من أمرهم أن جوزوا للعامة السذج ممن لميعرفوا من اللغة حتى بدهيتها الأولية · الاشتغال بالتفسـير وتأويل القـران والأحاديث · فوقعوا فى الكفر من حيث لايشعرون ، وفى التحريف الأشبه بالتبديل وهم لايعقلون ·

وانك أيها القارىء الكريم ستعلم مما سنذكره قريبـا من معانى بعض الألفاظ المتشابهة التى وضعتها لها العرب · أن الاشتغال بتفسير القرآن الكريم والأحاديث قدسية كانت أو نبوية محظورة كل الحظر على من لم يعرف اللغة معـرفة تؤهله لفهم مركباتها ومفرداتها ·

ولايحصل ذلك الا بدراسة علوم اللغة دراسة اسـتيعاب واحاطة بقدر الطاقة والامكان ·

فرب لفظة وآحدة تطلق فى لسان العرب على معان عـدة يفتقر تمييز بعضها عن بعضالى القرائن التىيرجع أكثرها الى الأساليب الكلامية واذ قلنا ان اللغـة ضرورية بجميع فنونها لمن يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل وكلام رسـوله عليه الصلاة والسلام فليس معنى ذلك أن اللغة وحدها كافية فى فهم كلام الله ورسوله ، بل لابد أيضـا من التلقى عن الموثوق بهم من علماء الأمة المنتهى سندهم الى الصـدر الاول ·

ألم تسمع ماوقع للصديق أبى بكر العربى اللسان،المعاصر للوحى اذ سئل عن قوله تعالى «وفاكهة وأبا» فقيل له عرفنا الفاكهة فما معنى (أبا) قال الصديق رضى الله تعالى عنه :

أي سماء تظلني ، وأى أرض تقلني اذا أنا قلت فى كـــلام الله مالا أعلم ؟ .

ثم ألم تسمع ماوقع لمعاوية بن أبى سفيان العربى القرشى أحد كتبة الوحى ، حين انطلق الى ابن عباس ترجمـــان القرآن رضى الله عنه فقال يا بن عبـــاس : لطمتنى أمواج القرآن فذكر قوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) قال : أو يظن نبى الله يونس عدم القدرة فى ربه ؟ فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : ليس هذا من القدرة انما هو من القدر بمعنى التضييق ، على حد قـوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) .

ثم ألم تسمع قول عمر بن الخطاب العربى القرشى فى قوله تعالى : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اذ قال فيه : ما كنت أعلم معنى هذه الآية حتى يوم غـزوة بدر حين هزم قريش وولوا الأدبار .

وأمثال هذه الوقائع من الكثرة بحيث يعجـز القلم عن حصرها فى مثل هذا النطاق .

وعلى هذا فاللغة والتلقى شرطان أساسيان فى الاشـتغال بالتفسير والتأويل فى كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ .

واذ ذكر هذين الأصلين فلعليك أن تطلب أصلا ثالثا لايقل أهمية عن الأصلين المذكورين وهو : صحة العقل وجـودة القريحة المكتسبة من ممارسة العلوم الشرعيـة ، ودراسـة الشئون البشرية وقائع التاريخ التى كان لهاأعظم مدخل فى نزول الآى ، ومجىء الاحاديث .

ولهذا أجمعت الائمة على اعتبـار أسـباب النزول فى التفسير والتأويل للقرآن والحديث . كما أجمعوا على منع أصحاب اللغة الذين لم تتوفر فيهم صحة النظـر ، وجودة القريحة المكتسبة مما ذكرنا آنفـا من الاشتغال بالتفسـير والتأويل .

وأظنك بعد هذا لاترى رخصة للمتنطعين من حفاه العامة وسوقتها فيما يدعون من أن مذهبهم الكتـــاب والسـنة ، منكرين مذاهب الائمة وأقوالهم وآرائهم .

ألم يسمع هؤلاء قول النبى ﷺ: «من قال فى القرآن برأيه هلك» وهو حديث صحيح عم الآفاق ، وملا الأسماع فى كل جيل وعصر ،فكيف يصح لهؤلاء التمذهب بالكتاب والسنة؟ والكتاب والسنة يبرآن من كل جاهل خلاط يســتقل برأيه (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وهل العالمية التى اشترطها الله تعالى لفهم أمثاله . وآيه المنزلة عنه صفة تثبت للشخص بمجرد انتظامه فى سلك البشرية ، لكونه سميعا بصيرا متكلما ، دون ممارسة لمختلف العلــوم اللغوية والشرعية فيكون كل بنى آدم بمجرد انحدارهم من الأرحام البشرية حاملين للصورة الآدمية علماء راشدين .

واذن لوجب الغاء المعاهد والمدارس فى جميع مراحلهــا العلمية والاكتفاء بالمكاتب الأولية التى تؤهل لمعـرفة الخط والقراءة .

ثم هؤلاء المتنطعون لم يدعــو علــوم الهندســة والطب وغيرهما من الفنون التى لاتفتقر العالمية فيها الى الدراسة العميقة ، والأخذ من علمائها افتقارنا الى العلوم السماوية الغيبية ، مع أنها علوم وضعية استنبط قوعدها أمثالهم من أبناء البشر ، فكيف يسوغ لهؤلاء المتنطعين ادعاء العالمية بالقرآن والحديث بمجرد الرأى دوندراسة وأخذ منالعلماء مع أنهما علوم الهية ، وأسرار ربانية غيبيــة رتبها العليم الخبير .

اللهم ان هذا لطمس ليس وراءه طمس ، وجهل وهذيان وقلب للاوضاع يأباه كل طبع وينكــره كل عقل لا عقولهم المصابة بالطمس والمسخ .

فعجيب من لايعرف أسماء النجوم وهى فوق رأســه ،

وخواص النباتات ومنها طعامه وغذاؤه ، أن يتكلم برأيه فى أسرار الغيب،وعلوم السماء التى هى القرآن والاحاديث فكلامهم فى مثل الاستواء على العرش ، والفوقية ، والرفع والعندية ، والقرب ، والمجىء ، والنزول • وسائر ما فيه تشبيه الخالق جل وعلا بصفات خلقه ، مما سماه القرآن بالمتشابه ، لعب بالحق وسفه يستوجب سخط الله والملائكة والناس أجميعن •

وها هو سنن أهل الحق الذين هم لاحقهم كسابقهم فى الاهتداء الى بيان رب العالمين وسنة سيد المرسلين الذين نزهوا الحق سبحانه وتعالى عن كل متشابه واليك بيانهم :

قال العلامة اللقانى :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال الفارفون بالله تبينا لكلام العلامة اللقانى ، والمراد بالنص هنا ما قابل القياس والاستنباط والاجماع وهو الدليل من الكتاب أو السنة سواء كان صريحا أو ظاهرا وليس المراد به ما قابل الظاهر وهو ما أفاد معنى لايحتمل غيره اذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تأويله وقوله : أوهم التشبيها أى أوقع فى الوهم صحة القول به بحسب ظاهره والمراد من التشبيه المشابهة لافعل الفاعل وقوله أوله أى أحمله على خلاف ظاهرة مع بيان المعنى المراد فالمراد أوله تأويلا تفصيليا بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف وهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل من بعد القرون الثلاثة وقوله : أو فوض أى بعد التأويل الاجمالى الذى هو صرف اللفظ عن ظاهرة فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم اليه تعالى على طريقة السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقبل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما

فبها من مزيد الايضاح والرد على الخصوم وهى الأرجح ولذلك قدمها المصنف وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى وقوله: ورم تنزيها أى واقصد تنزيها له تعالى عما لا يليق مع تفويض علم المعنى المراد ، فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الاجمالى لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهرة المحال عليه تعالى لكنهم اختلفوا بعد ذلك النص وعدم التعيين بناء على الوقف على قوله تعالى (والرسخون فى العم فيكون معطوفا على لفظ الجلالة وعلى هذا فنظم الآية هكذا ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم وجملة يقولون آمنا به حينئذ مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل أو على قوله وما يعلم تأويله الا الله وعلى هذا فقوله والراسخون فى العلم الخ استئناف وذكر مقابله فى قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) الآية . أى كالمجسمة فمنهم من قال انه على صورة شيخ كبير منهم من قال انه على صورة شاب حسن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والحاصل انه اذا ورد فى القرآن أو السنة ما يشعر باثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق على تأويل ذلك ، فوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ماذكر بحسب ظاهرة .فمما يوهم الجهة قوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) الآية . فالسلف يقولون فوقية لانعلمها والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالى فى العظمة فالمعنى يخافون أى الملائكة ربهم من أجل تعاليه فى العظمة أى ارتفاعه فيها ومنه قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فالسلف يقولون استواء لانعلمه والخلف يقولون المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر .

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

وسأل رجل الامام مالكا عن هذه الآية فأطرق رأسه مليا ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أظنك الا ضـالا فأمر به فأخرج . وسأل الزمخشرى الغزالى عن هذه الآية فاجابه بقوله : اذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى بأين او كيف وهو منزه عن ذلك ثم جعل يقول :

قل لمن يفهـم عنى ما أقـول
قصر القـول فذا شرح يطـول
ثم سر غـامض من دونـه
قصرت والله أعنـاق الفحـول
أنت لا تعـرف ايـاك ولـم
تدر من أنت ولا كيف الوصـول
لا ولا تـدرى صـفات ركبت
فيـك حـارت فى خفاياها العقـول
اين منـك الروح فى جـوهرها
هل تراهـا فتـرى كيف تجـول
وكذا الانفـاس هل تحصـرها
لا ولا تـدرى متى عنـك تـزول
أين منـك العقـل والفهم اذا
غلب النـوم فقـل لى يا جهـول
أنت أكـل الخبـز لا تعـرفه
كيف يجـرى منك أم كيف تبـول
فاذا كـانت طـواياك التى
بين جنبيـك كذا فيهـا ضـلول
كيف تدرى من على العرش استوى
لاتقل كيف اسـتوى كيف النـزول
كيف يحكى الرب أم كيف يـرى
فلعمـرى ليس ذا الا فضـول

فهـــو لا أين ولا كيـــف لــــه
وهو رب الكيف والكيف يحـــول
وهو فـــوق الفـــوق لا فوق لـــه
وهو فى كل النـــواحى لايـــزول
جـــل ذاتـــا وصـــفات وســـما
وتعـــالى قدرة عمـــا تقـــول

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى (وجاء ربك) وحديث الصحيحين ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير ويقول : من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فاغفر له . فالسلف يقولون : مجيىء ونزول لا نعلمهما والخلف يقولون : المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله الخ وفى المنن أن الغالب أن الموكب الالهى ينصب من الثلث الأخيـــر ، وتارة ينصب من اول النصف الثانى الا ليلة الجمعة فانه ينصب من غروب الشمس الى خروج الامام من صلاة الصبح . كما ورد فى حديث مسلم ومما يوهم الصورة ما رواه احمد والشيخان ان رجلا ضرب عبده فنهاه النبى ﷺ وقال : ان الله تعالى خلق ادم على صورته . فالسلف يقولون صورة لانعلمها والخلف يقولون . المراد بالصورة الصفه من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته فى الجملة وان كانت صفه تعالى قديمه وصفة الانسان حادثة وهذا بناء على أن الضمير فى صورته عائد على الله تعالى كما يقتضيه ما ورد فى بعض الطرق فان الله خلق ادم على صورة الرحمن وبعضهم جعل الضمير عائدا على الآخ المصرح به فى الطريق التى رواها مسلم بلفظ فاذا قاتل أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فان الله خلق ادم على صورته أى واذا كان كذلك فينبغى احترامه باتقاء الوجه ومما يوهم الجوارح . قوله تعالى (ويبقى وجـــه ربك) (يد الله فوق أيديهم) وحديث ان قلوب بنى آدم كلها كقلب واحـد بين

أصبعين من أصابع الرحمن فالسلف يقــولون لله وجه ويد وأصابع لانعلمها والخلف يقولون المراد من الوجــه الذات وباليد القدرة والمراد من قوله بين أصـــبعين من أصــابع الرحمن بين صفتين من صفاته وهاتان الصـــفتان القدره والارادة (لطيفة) سال الشعرانى شيخه الخواص لماذا يؤول العلماء الموهم الواقع من الشارع ولايؤولون الموهم الواقع من الولى؟فقال : لو انصفوا لأولوا الواقع من الولى بالاولى لأنه معذور بضعفه فى أحوال الحضرة بخلاف الشارع فانه ذو مقام مكين وقد يقال ينبغى المحافظة على الواقع منه ما أمكن لأنه يقتدى به ولا كذلك الولى فانه لايحافظ على كلامه لأنه لايقتدى به فاذا أوهم أهدر ٠

هذا وقد تكلم فى تلك المتشابهات أفاضل الأمة الاسلامية وألفوا فيها كتبا من المفسرين والمحدثين ، آخذا من بيــان سيد العالمين ، واللغة الصحيحة السليمة التى جاء بها القران الكريم ، واجمع عليها أهل الحق من المحققين ولم يشذ فيها أحد الا المخالفين ممن هم ضد الحق وأهله ٠

ولذا ترى الموفقين لايحيدون عن ذلك أبدا ٠ وهى المعانى المناسبة اللائقة لوضعها بجانب الحق عز وجل التى تنزهه عن كل نقص ، وتثبت له كل كمال وخاصة أن الائمة رضى الله تعالى عنهم قد أجمعــوا على أن اللفظ الذى يحتمل معنين ٠ أحدهما يوجب محظورا ٠ يجب العــدول عنه الى مالا محظور فيه ٠

وأما أهل الضلال فيتمسكون بتلك المعانى المتشابهة ولا يحيدون عن ذلك أبدا ، وذلك للوضع الالهى لعباده ليعرف الحق وأهله ، والضلال وأهله ٠

الاســـتواء

والرد عليهم فيه من النقل والاجماع

نقول مسألة الاستواء للعلماء فيها كلام نحوا من أربعــة

عشر قولا . واجماع المتقدمين والمتأخرين أنه اذ وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولو احقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة . فليس بجهة فوق عندهم ، لأنه يلزم من ذلك متى اختص بجهة ان يكون في مكان أو حيز ،ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث .

الاستواء على العرش

نقول : خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر في الاستواء الذي قد ضل به الضالون ، لأنه أعظم مخلوقاته ، وان العاقل المتدبر في القرآن الكريم الذي يعقل عنه انه سبحانه وتعالى حيث قهر أعظم مخلوقاته ، وهو العرش ، فبطريق الاولى ان يذل ويخضع له ابن آدم الذي هو أقل من الأرض ، التي هي أقل من السماء ، التي هي أقل من العرش ، اذ أنه مع ما هو عليه من ضعف البنيـة وحقارة التفكير التي بهـا قد ينحط الى درجة البهائم العجمـاوات ، مع هذا كله يدعى الألوهية والكبرياء والعظمة التي اختص بهاسبحانه وتعالى فيكون في الاخبار بانه تعالى على العرش استوى ردع لمن أدعى ذلك لينبهه جل شأنه على بطلان دعواه ، وهدا حسن على ما ورد في بعض الاخبار الصحيحة كما ستعرفه .

وانما الأغبياء يظنون بالله تعالى أنه استوى بمعنى جلس واستقر بذاته فوق عرشه ، ومن أكبر أدلتهم يقولون : الامام مالك يقول : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . ويتمسكون به أكثر من الآيات جهلا منهم بأن الامام مالكا امام دار الهجـرة رضي الله عنه يقصد بالاسـتواء الاستقرار ، وهذا من الجهالة منهم بمكانة قدر الامام مالك حجة الله في أرضه ،وقد بين الامام القرطبي ما عليه الاجماع في معنى قوله الامام مالك رحمه الله تعالى .

قال : الاستواء معلوم ،يعنى فى اللغة ـ والكيف مجهول٠ والسؤال عن هذا بدعة ٠ قرطبى ٠ ففسر القرطبى رحمة الله تعالى معنى قول الامام مالك رضى الله عنه فى الاستواء معلوم فى اللغة ٠ يعنى يرجع فى معنى الاستواء الى اللغة قال : ويوضع بجانب الحق عز وجل المعنى المناسب لجلاله٠ وفى اللغة : الاستواء ٠ فى كلام العرب هو العلو ،قال تعالى (الرحمن على العرش استوى) : علا ـ أى ارتفع ٠

قال الشاعر :

فأوردتهم ماءا بفيفاء فقـــرة وقد حلق النجم اليمـــانى فاستوى واستوى من اعوجاج ، واستوى على ظهر دابته : أى استقر ، واستوى الى السماء : أى قصد ، واستوى : أى استولى وظهر ٠

قال :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهــــراق

واستوى الرجل : أى أنتهى شبابه ، واستوى الشىء : اذا اعتدل ، واستوى : أى علا وارتفع قرطبى ٠ ولايخفى أن فى الكلام الدارج المتعارف يقال لمن يكرم زد من كذا ٠ يقول أنا استويت هل استوى على الاكل أم على الشرب ٠

أنظر يا أخى يترك الضال جميع ما ورد فى اللغة التى أحال الامام مالك اليها ، ولم يختر من المعانى الا المخــالف الذى لاينطبق معناه ولايتناسب مع مقام الحق عز وجل ، اذ علوه وارتفاعه عن علو مجد لصفاته وملكوته : أى ليس فوق فيما يجب له تعالى من معانى الجلال أحد ، ولامعه من يكون العلو مشتركا بينه وبينه ٠ لكونه العلى بالاطــــلاق سبحانه ٠

العرش وما جاء فى معناه

ومعنى (على العرش) قال فيه الامام القرطبى هــذا لفظ مشترك يطلق على الكثير أيضا : قال الجوهرى وغيره :

العرش – سرير الملك • وفى التنزيل : (نكروا لها عرشها) • (ورفع ابويه على العرش) والعرش سقف البيت ، وعرش القدم ما نتا على ظهرها وفيه الاصابع ، وعرش السماك – هم اربعة كواكب صغار اسفل من العواء احدى منـــازل القمر ، وعرش البئر طيها بالخشب ، والعرش اسم لمكـة ، والعرش الملك والسلطان • قال زهير : –

تداركتما عبسا وقد ثل عرشـــها
وذبيان اد زلت باقدامها النعل

وقد يؤول العرش فى الآية بمعنى الملك : أى ما استوى الملك الا له جل وعز • قرطبى •

تأمل يا أخى فى أحوال الضالين كيف يأخذون من معانى القرآن على حسب أهوائهم ، وأغراضهم الشيطانية •

فهذا بيان اللغة العربية فى معنى الاستواء • والعرش ، فلو شاء الله هداية أحد منهم لوافق اجماع الامة الاسلامية • وهاكم أفاضلها ومن أهلهم الله تعالى لبيان كتابه العـــزيز باجماعهم ، ولم يشذ أحد منهم على أن الدلائل العقليـــة والنقلية القاطعة التى قدمنـــا ذكرها تبطل كونه تعـــالى مختصا بشىء من الجهـــات ، واذا ثبت هذا ظهر أنه ليس المراد من الاستواء الاستقرار • فوجب أن يكون المـــراد ان استوى بمعنى علا وارتفع ولايراد بذلك العلو بالمســـافة والتحيز والكون فى المكان متكمنا فيـــه ، ولكن يراد معنى يصح نسبته اليه سبحانه وتعالى وهو قول متين • ألوسى •

قولهم : الله فى السماء

نقول مما تقرر عقلا ونقلا أن الله تعالى اله قديم ، مستغن عن كل ماسواه ، وغيره مفتقر اليه ، فكيف يحل فى السماء والحلول دليل الاحتياج !! وأنه تعالى لو كان فى مكان لكان

متناهى المقدار ، وما كان متناهى المقدار فهو حادث ، والله تعالى قديم فيستحيل عليه الحلول فى مكان أو جهة ، ولو كان الله فى السماء لوجب أن يكون مالكا لنفسه وهو محال ٠

ولأنه كونه فى السماء يقتضى كون السماء محيطة به من جميع الجوانب ، فيكون هو أصغر من السماء ٠ والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أنيكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة الى العرش والسموات وذلك باطل بداهة ، وعلى هذا سلف الأمة وخلفها ٠ قال اسماعيل حقى فى تفسيره روح البيان : -

من قال : أن الله فى السماء حالا أن أراد به المكان كفر ، وان أراد به الحكاية عما جاء فى ظاهر الاخبار لايكفر ، لانها مؤولة والاذهان السليمة والعقول المستقيمة لاتفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات الا عين التنزيه ٠

وقال فيه : ان الاعتقاد أن الله تعالى جالس على العرش ، أو حائن فى السماء فيه تشبيه الله تعالى بخلقه وهو كفر ، قال أبو نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى : من شبه الله تعالى بخلقه كفر ٠

واجماع الأمه المحمدية كذلك قال فى كتاب أتحاف الكائنات ص ١٣٨ للسبكى نقلا عن العراقى ٠ ان معتقد الجهة كافر وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأبو الحسن والباقلانى وفى ص ١٣٩ منه نقلا عن ابن قيم : ان الفوقية فى الايات والأحاديث محمولة على حقيقتها ٠

قولهم فى الله تعالى بالفوقية

أغتر الضال بظواهر الآيات التى ضرب الحق عز وجل بها الامثال التقريبية لعقول عباده البشرية ، وتمسك بظواهرها ، واعتقد انه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فى

جهة فوق ، مستدلا بقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) ، (انى متوفيك ورافعك الى) (وهو فوق عباده) وأمثال هذه ايات وأحاديث كثيرة وهو معدود من المتشابة .

وذلك ان فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو. والله منزه عن الجهات ، وانما المراد منها حيث أطلقت على الله سبحانه وتعالى أفادة العلو الرتبى ، ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق الايات الكثيرة والاحاديث المتواترة العـــديدة . منها قوله تعالى (وهـو الله فى الســموات وفى الارض) وقوله تعالى (وهو الذى فى الســماء اله وفى الارض اله) وقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا رابعهم ولاخمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) وقوله تعالى (ولايستخفون من الله وهو معهم) وقوله تعالى(ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) والأحـــاديث فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد» فنفى ﷺ تقييده بجهة فوق وهو لاينطق عن الهوى ، وفى صحيح الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ بعد أن وصف السموات السبع أخذ يصف الارضين السبع ثم قال فى آخره «والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجدتم الله عز وجل » ثم قرأ : (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) هذا ولعل الله الكـريم يكشف حجب الغفلة عن قلـــوب المارقين فينظروا فى حقائق الامـــور فيتطلبوا الحقائق التى أمر الله بها عباده من مصـــادرها وينور بها بصائر المتهدين فتقوى حجتهم ويقوى ايمانهم ،

وخاصة أن ما أثبته فى هذه الادلة قد أجمع عليهـــا جميع مفسرى القرآن الكريم أخذا من اجماع السلف الصـــالح من الصحابة اليهم ولم يوفق للتوجه اليها ، والنظـــر فيها ، والاخذ منها ، والعمل بها ، الا من شاء الله تعالى هدايتــه وتوفيقه ٠

وأما الضال فلو شئت أن تحشوه بآله فى عقله وقلبه فـــلا تستطيع ولايقبل ، والا لم يتحقق فى الخارج الفــــرق بين الضالين والمتهدين ٠

(والله يهدى من يشاء الى الحق والى طريق مستقيم) ٠

استدلالاتهم من الاحاديث على أن الله فوق العرش وفى الســـماء

مما استعانوا به على ضلالاتهم ، وعدم اهتـــدائهم الى الحق ، وشذوا فيه بالمخالفة التى ذكروها استدلالا لهم على أن الله تعالى فوق العرش ، وفى السماء بذاته ، ومع الخلقه بعلمه ٠ وانى لمفصل لك ذلك بالتبيين الذى أجمع عليــه عقلاء الامة الاسلامية سلفا وخلفا : ـ

ان الاحاديث التى ذكروها ما جاءت الا لبيـــان ما فى القرآن ، وانها لم تكن الا على مقتضى المناســـبة للعقول البشرية حتى توصل المعانى الى أذهانهم القاصرة ،ويفهموا الكلام بما ألفوه وتعودوه ، لأنهم اعتادوا قبل الاسلام فهم أن الله تعالى فى السماء وهذا هو غاية تنزيه الكافر للحق عز وجل عما فى العالم السفلى ، ويعتقد بذلك أنه قد نزه اله السماء عن كل ما فى العالم السفلى كما حكى الله عز وجل عن عقائد الكافرين بقوله تعالى (ياهامان ابن لى صرحـــا لعلى أبلغ الاسباب ، أسباب السموات فأطلع الى آله موسى) فهذه عقيدة الكافرين بأن الله فى السماء ، وبين لنا رسول

الله ﷺ ذلك كما فى حديث الجارية الصحيح المشهور على ما كانوا يعتقدون ، اذ كانوا حديثى عهد بكفر ، وفى حديث حصين رضى الله عنه والد سيدنا عمران رضى الله عنهما حين سأله ﷺ بقوله : «كم كان لك من آله يا حصين قبل الاسلام » قال سبعة يا رسول الله . قال ﷺ «أى آله فيهم كنت ترجوه لنفعك ولدفع ضرك» قال : آله السماء . قال المصطفى ﷺ : «مالك من آله غير لا آله الا هو رب العرش العظيم » وهذا جئت به أزيد مما جاء به ابن تيمية من الأحاديث التى استدل بها على أن الله فى السماء ، وفوق العرش ، وقد فهم منها ذلك فقال : ان المعراج ما كان الا لأن ﷺ عرج الى ربه . ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه ، وحديث نزول الملائكة «فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألون وهو أعلم بهم» وحديث « وأنا أمين من فى السماء ، يأتينى خبر السماء صباحا ومساء» وحديث الرقيا «ربنا الله الذى فى السماء نقدس اسمك» وحديث قبض الارواح « حتى يعرج به الى السماء التى فيها الله » .

فيأيها القارىء الكريم قلنا مرارا ان من ضل فى معرفة الله تعالى فقد ضل فى معرفة كل شىء ، لأن مبدع الكائنات جل وعلا جعل لكل شىء مصدرا .فالعوالم السفلية مصدرها العوالم العلوية وجميعمافيها مستفادمنالعوالم العلويةفهى أكبر وأقدر وأعموأشمل وهى التى تكون ملكوتا للارض وما عليها ، لأن ملكا واحدا ، أو كوكبا واحدا يستطيع أحدهما لو شاء الله هلاك الارض وما عليها به لفعل كما فى الحديث المروى عند أبى نعيم والطبرانى «ان لله تعالى ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه : سبحانك حيث كنت » أليس على هذا يكون المعنى «أأمنتم من فى السماء » قهرة وجبروته ؟ أليس هذا معنى ألطف وأحسن من كونه سبحانه وتعالى فى السماء بذاته ؟

وهذا سيد العالمين يحدثنا أن الملك العظيم يقول فى تسبيحه «حيث كنت» ولايعلم وهـــو ملك اين الله ؟ أفيرشد سـيد العالمين أن الله تعالى فى السماء حتى يفهم هذا منه ﷺ ؟ وان القرآن والسنة قد جاءا بما يدل على التحتية أكثر من الفوقية فيلزم على ذلك التعارض ، ولا معارضة فى الكتاب والسنة كما عليه الاجماع ٠ ومن هنا تعـــرف أن جميع الاحاديث التى ساقها بأن الله فى السماء لم يفقه لها معنى

على ما بينا من أن أدلة التحتية أكثر عددا من أدلة الفوقية التى منها قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) (ولايستخفون من الله وهو معهم) وهكذا من الايات التى تشبه ذلك ، ومن الاحاديث حديث « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد» وحديث وصف السبع أرضين المروى عند الترمذى « والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجـــدتم الله عز وجل » وهكذا من الاحاديث الكثيرة التى تشبه ذلك ، وان قالــوا بالتأويل فيها : أى بعلمه نلزمهم التأويل بطـريق الاولى فيما يزعمون بالمعانى التى تتناسب مع مقام الحق عز وجل وان تشأ فقل كما قال العلامة البيضاوى وأبو السـعود كان هذا ٠ أى كل لفظ يفيد فى السماء قبل الاسلام فجاء الاسلام بالقرآن المجيد وبارشاد سيد العالمين مثبتا للحق جل وعلا ما يليق به سبحانه وتعالى من التنزية له عن كل نقص مما يشبه صفات الحوادث ، وهذا ما أجمع عليـــه الصـحابة والتابعون ومن تبعهم الى يوم الدين ٠

وسنبين ذلك ان شاء الله تعالى قريبا فى الباب الثـالث الخاص بمعرفة الحق سبحانة وتعالى بالقدر الممكن للبشر وما عليه أهل الحق من صريح القرآن والسنة المطهرة ٠

تابع الاستواء على العرش وفى السماء

قال بن تيمية فى الرسالة الحموية الحادية عشر صفحة ٤٥٠ – ٤٥٢ – ٤٥٣ من مجموعة الرسائل المطبوعة بالمطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ ما نصه :ـ

قال : فان قال قائل أتقولون أنه تعالى فى كل مكان . قيل له : معاذ الله بل هو مستوى على عرشه كما أخبر فى كتابه فقال (الرحمن على العرش استوى) ، وقال : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقال : (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض ،فاذا هى تمور) قال : مستدلا على زعمه الفاسد : ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الانسان وفمه ، والحشوش ، والمواضع التى يرغب عن ذكرها ، ولوجب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها ما لم يكن . وينقص بنقصانها اذا بطل منها ما كان . ولصح أن نرغب اليه الى نحو الارض ، والى خلفنا والى يميننا وشمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله .

وقال : ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لأن الله على العرش الذى هو فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض .

فانظر أيها القارىء الكريم الى كلام هذا النضال فى معرفة ربه جل وعلا ، ولايخفى عليك أنا قلنا مرارا : ان كل من معرفة الله تعالى فقد ضل فى معرفة كل شىء ، وهذا يقرر لأتباعه أن الله تعالى فوق العرش فى سمواته مباين لخلقه منفصل عنهم .

وقد قدمنا ابطال عقيدته الزائفة فى معنى الاستواء والعرش والفوقية والمكانة والمباينة عقلا ونقلا ، وهنا نبين

لك ابطال تلك العقيدة الفاسدة بما نورده من أدلته العقلية التى لايقول بها الامثلة فى الضلالة ، اذ قوله : لو كان فى كل مكان فى بطن الانسان وفمه ، والحشوش كما هو مبين فى كتاب الدرامى أيضا الذى امتدحه ٠ نقول : قد ضل هـذا كأمثاله الضالين قبله بقصر نظرهم ، وطمس بصـيرتهم ، ولتعويلهم على ظواهر الموجودات ، ولم يفطنوا الى حقائق المكونات التى لفت الله تعالى نظر عباده بقوله تعالى (أولم ينظروا فى ملكوت السـموات والارض وما خلق الله من شىء) ٠ (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقـه ثم هـدى) ٠ (فأينما تولوا فثموجه الله)فهؤلاء لايدرون معنى الموجودات وما هى عليه ، ولاكيفما هى ، وبهذا باءوا بالخسران المبين

وانى اضرب لكمثلا عقليا تخرج منه بقطع ألسنة الضالين المارقين فى فهم هذا ، وفيما فهموا بأنه لايصح اطـلاق وجوده تعالى فى كل مكان فضلا عما ذكروا بأنه تعالى لا يصح أن يكون فى المواضع التى يرغب عن ذكرها ٠

ذلك المثل العقلى المأخوذ من قوله تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فقل له : هب أن ذاتك هى عبارة عن الملك ٠ وهل هى موجودة على قيد الحياة بالروح أم بالمادة فقط ؟ فلا يسعه الا أن يقول بالروح ، وهل الروح عامة فى جميع الجسم أم هى مختصة بالرأس فقط ؟ أم فوق الرأس ؟ ليقابل قوله أن مابه الوجود سبحانه وتعالى فوقوفى الرأس ليقابل أن ما به الوجود سبحانه وتعالى فى السماء وعلى العرش ، ثم قال له أيضا وهى الروح طاهرة أم نجسة ؟ فلا يسعه الا أن يقول : طاهرة ٠ وهل هى عامة فى جميع الجسم أم لا ؟ فلا يسعه الا أن يقول عامة فى جميع الجسم ، ومن الجسم المخرج والمبولة اللذان لايخلوان من النجاسة أبدا ٠ فعلى قولهم هذا يكون الجزء المتصـل بالجسم من الروح بهمـا نجس ، لأنه لايحس عند الحاجة الا بها ٠ أفهل الروح نجسة فى هذا الحال ؟ أم مترفعة عنه ؟ ٠

وعلى هذا لانفهم الا مافهمه الافاضل من أن النجاسة والطماره أمران اعتباريات فى عرف الشرع لتميز الاشياء بعضها عن بعض ٠ هذا وفى الحديث الصحيح « ان الله وكل بالرحم ملكا يقول : يارب نطفة يارب نطفة» ٠ الحديث ٠ ومن المعلوم أن الرحم مقره فى وسط الأمعاء وهو محل قرار الجنين فى بطن أمه ، فكيف يجلس هذا الملك الطاهر فى هذا المكان المعروف ؟ هذا وان الملكين اللذين يكتبان الاعمال جعل الله تعالى مقرهما خلف الأضراس بنص الصحيح «لطف الله الملكين حتى أجلسهما على الناجذين» فكيف بهما فى حال مرور الخمر وأكل الحرام عليهما وهما أطهار ؟ هذه أدلة عقلية مستفادة من الأدلة النقلية فى الكتاب والسنة ، هذا ٠

وأما قوله فى استدلاله علىأن اللهفوق العرش وفى السماء برفع الايدى الى السماء فى طلب الدعاء ٠ فنقول له ولمن على مبادئه : ان الله تبارك وتعالى كما جعل لكل شىء مصدرا كذلك جعل لكل شىء طريقا ومقصدا ٠ فرفع الايدى فى الطلب ناشىء عن العبادة أو الحاجة الداعية لذلك ، فجعل الله الطلب برفع الأيدى الى السماء ٠ لأنها قبلة الدعاء ، وشأن الطالب حين يطلب يمد يديه لأنه الادنى وطلبه لم يكن الا من الأعلى تبارك وتعالى لا من السماء ، ولا باعتقاد أن الله فى السماء لأنه يرفع يديه ولايشخص ببصره الى السماء كما جاء فى تعاليمه ﷺ ،لأن الذى يطلب منه انما هو معه يسمعه ويراه ، ولكن شرع رفع الايدى بالدعاء للاحتياج اليه على الدوام ، ليشعر العبد أنه مفتقر اليه تعالى فى جميع مستلزماته ، وهذا جاء به التشريع ، كما بين لنا التشريع أيضا بأن هناك أقواما لايطلبون ولايدعون لأنهم هم العارفون ٠ والعارف يرى أنه فى معية ورعاية سيدة على الدوام ٠ فلا يكون الطلب بالنسبة له الا قلة أدب مع سيده ، ومحال أن يطلب لأن الطلب للمحجوب

الآخذ فى سبيل المعرفة . وأما هؤلاء فهم على قدم الخليل عليه السلام ،هذا ولم جعل الله تعالى الصلاة الى الكعبة ولا تقبل الا اليها ؟ وهل الله تعالى فيها يأيها الغر ؟ هذ وقد جعل الله تعالى الحج : الوقوف بعرفة . ولايقبل الا به . وقد جعل الله تعالى العمرة لا تقبل الا بالسعى بين الصفا والمروة والطواف .

اذن فالدعاء الى السماء على ما قررنا ، بأن الله تعـالى جعل لكل شىء مصدرا وجعل له طريقا ومقصدا .

وان تشأ فقل : ان هؤلاء لما يروا الله تعالى عيانافى العالم السفلى المشاهد لهم أنكروا وجوده فى كل الوجـود ، فهم على قدم من قال : (أرنا الله جهرة) ولما لم يروه ويشاهدوه عمدوا الى ما هو أضل وتصوروا صورة ، على قاعدة ما يضلل به أبليس حزبه ، ونطقو بها ، واستدلوا عليهـا بكل ما هو مخالف ، ووافقوا اليهود والنصارى فى أنه فى السماء .

هذا . وقد قال سرجيوس القسيس المشهور فى هذا العصر لصاحب لنا : « أين الله ؟ . لو كان موجودا لرأيناه . فقلت لمن قال له ذلك : وهل هو يرى كل مخلوق حتى أنه يريد أن يرى الخالق جل وعلا ، وقد ضربت له المثل السابق بالروح ووجودها فى جميع الجسم ، هل يمكنه أن يراها ؟ وقلت له أيضا : انا نؤمن بالجن ، وهم معنا . فهل نحن نراهم ؟ ! ونؤمن بالملائكة وهم معنا .فهل رأيناهم ؟! ونؤمن أن اللبن فيه السمن . فهل نراه فيه ؟ ونؤمن أن جميع الحبـــوب والنباتات مطلقا من فاكهة وغيرها فيها الدهن . فهل نراه فيها ؟! .

واذا كنا لا نرى ما هو موجود معنا من مكلف ، مثلنا . ومما تتغذى به ، ولانرى الروح فى الحيوان ولاكيف هى ولا الهواء الذى نعيش به . فهل عدم رؤية كل ذلك دليل على عدم وجوده ؟ اللهم لا .

ولقد أحسن من قال كلمة لايعقلها الا العـالمون « ان كل شىء فى كل شىء) وكفانا قول الحق تبارك وتعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ٠

واقعـــة حال

بينما أنا أقرر بالدرس فى الازهر الشريف ٠ معنى قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) وأنفى قول من يدعى الحلول اذ وجه الى أحد طلبة العلم السؤال الاتى : -

لقد نفيت عن الله تعالى ٠ الاستقرار فى السماء ، مع أن الادلة قائمة من القرآن على وجوب التمسك بظـاهر قوله «أأمنتم من فى السماء» وذلك كقوله تعالى (انى متوفيـك ورافعك الى) فانا جازمون بأن عيسى رفع الى السـماء ، وقد جعل الله ذلك الرفع اليه ، فلولا أنه تعالى مستقر فى السماء ، ما كان الرفع الى السماء رفعا الى الله ؟فأجبته بأنه لايلزم من قوله (ورافعك الى) أن الله تعـالى موجود فى السماء بذاته ، وجود حلول واستقرار ، اذ لم لا يجوز أن يكون المعنى ٠ ورافعك أى الى مكـان حفظى الذى قصرت أيدى الخلق عن التصرف فيه لاستحالة وصولهم اليه حسـا ومشاهدة أو الى سمائى التى لاتنسب لأحد غيرى ولاكذلك الارض ٠ التى اقتسمها أيدى البشر وادعى كل ذى سلطان الاختصاص بجزء منها مع مكان تصرفهم فى جميع أجزائها فكان الرفع الى السماء كأنه رفع الى الله تعالى فى قصور أيدى الخلق عن الوصول اليه ٠

وبهذا بطل الاحتجاج بآية الرفع على ابقاء (أأمنتمن فى السماء) على ظاهرها الذى أبتلت بالتمسكبه طائفة الالحاد والزيغ من المجسمة الحلوليين ٠ ولو تأملنا الآيتين تأمل

تبصر وتدبر لأيقنا أن الرفع اليه أوســـع من معنى قوله (أأمنتم من فى السماء) فان مدلول (الى) لايصح عقلا أن يساوى الاستقرار فى السماء ولايستدل بالأعم على الاخص عقلا لجواز تحقق العام مع تخلف الخاص وهو بديهى وهذا كله بغض النظر عن الأدلة العقلية القاطعة باستحالة الجهة عليه تعالى استحالة أولية • اذ الجهات محدثة ، ذات بداية فى الوجود والله تعالى أزلى ليس لوجوده بداية ، فكلما كان قبل حدوث الجهات لم يزل كذلك بعد حدوثها أيضا •

والحاصل أن النصوص النقلية المتشابهة المشتبهة لذاته تعالى بذوات خلقه ، هى وحدها تنادى باستحالة ظواهرها حتى ولو لم يلاحظ حكم العقل ودلالته ، وخاصة أنه قد ألف أفاضل الأمة كتبا فى رد المتشابه الى المحكم فتجـــد طلاب الحق الذين يردون الضالين عن ضلالاتهم ، يقــولون ذلك ويتدبرون معانيه ويؤمنون به ، فاقتنع السائل المستشــكل ونزل عن شبهته وصار فى طريق الموحدين الذين ينزهون البارى سبحانه وتعالى عن صفات خلقه التى من جملتهـا الحلول فى الجهات وأصبح من المهتدين الذين أثنى سبحانه وتعالى عليهم فى محكم تنزيله قال تعالى (فبشر عبـادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحســـنة ، أولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم أولو الألباب) •

الفصل الثانى

فى الرد عليهم وعلى متابعيهم من قولهم أنه ســـبحانه وتعالى له صفات الحوادث من الأيدى من الأيدى ، والارجل والوجه ، والعينين وغيرها ، والنزول والمجىء والعنـدية وغيرها : وسنرد عليهم فى هذه المفتريات واحدة واحدة ، وقبل الدخول نلفت نظر القارىء الكـريم الى شىء مما هم

عليه فنقول : ان من أكبر ما نستدل به على انطباق جهلهم وتضليلهم لانفسهم ولمن اتبعهم ، قولهم : نعمل بقول السلف فى المتشابه مع أنه بينهم وبين السلف منافرة تامة ،والسلف يبرأ منهم ومن أشكالهم · وهاهم السلف الصالح يقولون فى كل متشابه تؤمن بآيات ربنا ، وكل من عند الله ، وجل السلف وافق الخلف على التأويل المناسب لذاته تبارك وتعالى ، فسلف الأمة الاسلامية وخلفها متفقون على ما بينا ، ولكنهم هم لم يوافقوا لا سلفا ولا خلفا للامه الاسلاميه نعم لهم سلف فى الضلال من عهد الصحابة والتابعين على المخالفه لاجماع المسلمين من القدرية والحرورية والمعتزله ومن على شاكلتهم الى وقتنا هذا فنهاهم سلفهم وخلفهم فتراهم ينفون ويثبتون فى المتشابه من قولهم لله يد ولكن لا نعلمها ، وهكذا فى جميع آى المتشابه من الاثبات والنفى ولقد أحسن العلامة القرطبى فى تفسيره فى وصفه لهم بذلك فمن أين لهم هذا التعبير الفاسد المقول فيه بالتشكيك وستدلالهم بقول الامام مالك رضى الله تعالى عنه فى مسألة (الاستوى على العرش) لايفهمون له معنى على ما قدمناه من أول سلفهم وخلفهم الذين ينتمون اليهم ليضللوا به البسطاء من المسلمين المتعلمين وغير المتعلمين ·

وتكبر الطامة اذا كان ذلك ممن يتولى منصبا كبيرا فى الدولة من دعاتهم الذين نشئوا على تلك العقائد الزايفة فان جهر مثل هؤلاء بهذه المبادىء الخاطئة يعطى أهلها حجة يتمسكون بها فى اضلال الناس من ضعفاء العلم والايمان ، روى النسائى وابن حبان عن ابن عرفة عن النبى ﷺ أنه قال : « ستكون بعدى هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه يد الله على الجماعة وان الشيطان مع من فارق يركض » ·

واليك البيـــان قال ابن تيمية فى تعريفـــه لربه خالق الكائنات سبحانه وتعالى أن له صفات الحوادث تعالى الله عن علوا كبيرا ، ويؤسس لأتباعه ، ويموه عليهم بأن هذا الحق لا مرية فيه ، اذ يقول فى الرسالة الحمـــوية الحادية عشر من رسائله المطبوعة فى المطبعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ صفحـــة ٤٢٨ قال : لايوصف الله الا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لايتجاوز القرآن والحديث ، ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ، ليس فيه لغز ولا أحاجى ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصـــود المتكلم بكلامه أ هـ ٠

يعنى أن هذا عنده وفى نظره ، أن جميع الآى التى جاءت فى القرآن مما ذكـــره الحق عز وجل عز وجل على وجـــه التقريب للعقول البشرية من صفاته العليـــا ، وأســـمائه الحسنى مما تشبه صفات الحوادث ، جعلها حقا وحقيقـــة لانطباقها على المشاهد له كما قال : فهو حق ليس فيه ٠ لغز ولا أحاجى ٠ يتبين من هذا أنه أخذ منه ، أى من القـــرآن بالظاهر الصريح ، وليس عنـــده ما يقبل التأويل ، ومن تمويهه تجده دائما يذكر أسماء أهل السلف كالامام مالك والامام الشافعى والامام احمـــد وغيرهم من أهل عصرهم رضى الله عنهم اجمعين ، وفى نظـــره انهم لم يؤولوا فى المتشابه ، تمويها منه وتضليلا لمتابعيـــه ، ولم يفطن ، أو اختلس حكم السلف المقابل للخلف ، وقد أجمع علماء الملـــه الاسلامية على ذلك ، بل لم يبصر ولم يخش اصطدامه بقوله تعالى «كل شىء هالك الا وجهه» ومن المعلوم عقلا ونقلا ، أنه تعالى شىء لا كالأشياء ،فان لم يركب هذا سفينة التأويل تبعا لسلف وخلف الأمة الناجيـــة ، لهلك فى معنى الآية الكريمة ، لأنه على ما يعتقد أن لله عز وجل وجها ٠ كالوجوة فبحكم الظاهر الذى يدعى أنه متابع فيه للســـلف زورا ،

يكون الله تعالى هالكا الا وجهه ، ويكون بيـان الآية على طريقته هكذا : كل شيء يقع عليه اسم الشيء ، ومن جملته البارى تعالى يدركه الهلكة والفناء ، الا بعض البارى وهو الوجه المستثنى ، وهذا لايقول به انسان فضلا عن موحد ، ولست أدرى كيف يصنع فى قوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) فعلى ظاهرة الذى هو متمسك به يكون أعمى الدنيا وأعمى الآخرة ولا قائل به البتة ،وكذا فى قوله تعالى (وما أنزل الله من السماء من رزق) ومن المقرر عقلا ونقلا ان الرزق جميع ما ينتفع به ، ومنه : الدواب ، والانعام • هل رايت بقرة نزلت من السماء ؟ يأيها المتمسك بالظـاهر ولعمرى ان التمسك بالظاهر عموما وخاصه فى صفات البـارى جل وعلا لهى الوحلة التى استلزمها المتسك بظاهر المتشابه •

أفهل أنت أيها المسكين لازلت باقيا تلك الوحلة المنتنة التى غصت فيها بعقيدتك المقوته من أخمص قدميك الى أم رأسك ؟والتى جعلتك تحكم على معبودك بالهلكة والفناء حتى صرت أحد آل فرعون وعابديه ، أو أحد أهل الصليب القائلين بقتل عيسى عليه السلام مع زعمهم ألوهيتـه ، وعكوفهم على عبادته ، أو أحد العـزيريين من اليهـود الزاعمين أن الهم فى انسماء ، وابنه عزير فى الارض •

ان الذى أدخلك أبواب الكفر والشرك جميعا عكوفك على ظواهر المتشابهات ، وامتناعك عن تأويلهـا على مقتضى العقل والنقل • الذين هما عماد الايمان وينبوعه ، وأساس الهداية ومدارها ، لقد حكمت بمقتضى ظواهر المتشـابهات على نفسك بأنك راكع ساجد لشخص يساويك فى الخصائص والصفات ، أنت جسم مركب من عضلات وأعضاء باطنيـة وظاهرية ، ولك صفات من الحركة والسكون ، والتحيز فى

الامكنة والصعود والنزول ، والجلوس على الارائك والقيام منها ،وقد نعت ربك ووصفته بكل تلك الخصائص والصفات، فأصبح العابد والمعبود من جنس المتحرك الساكن ، الصاعد النازل ، القائم القاعد ، ذى اليدين والرجلين ، واللسان والشفتين ، واحداق فى العينين ، وصماخ فى الادنين ٠

ثم لا ندرى أتقول أيضا ان ربك بائل متغوط ، فان جسما على تلك الصورة ، وبتلك العضلات والاعضاء اذ حرم المخرجين كان انقص من عابدة الذى يبول ويتغوط ، فان العابد حينئذ أكمل صورة ، وأزيد أعضاء من ذلك المعبود الذى حرم المخرجين ٠

وعجيب فى رأى البهم فضلا عن الآدمى أن يركع ويسجد كامل لناقص !!

فتب تبا لك ولعقلك التعس الذى حملك على نعش الكفر والاشراك لعبادة من هو أنقص جسما منك ، لقد اجتمعت فيك جميع عقائد اهل الزيغ والكفر بسبب بقائك على ظواهر المتشابهات ، كما حكمت على نفسك بالانسلاخ من البشرية ، ولانفصال عن الانسانية التى تبرأ من الايمان باجتماع النقيضين فى شىء واحد فى آن واحد ٠

ألم تقل ان ربك باق أبدى ، ثم تضيف الى ذلك عقيدتك المستقذرة القاضية بفناء رب العالمين الا وجهه ، والوجه بعض الجسم ٠ فان قلت لم أقل بفناء ربى لأنى أحمل الوجه بعض الجسم٠فان قلت : لم أقل بفناء ربى لانى أحمل الوجه فى هذه الآية على الذات لا على الجارحة المخصوصة المسماة وجها ٠ قلنا لك : حسن ٠ حسن منك هذا التأويل ، فهل تصر عليه وتتخذه مذهبا لك ؟ فان قلت : نعم ٠ أؤول الآية وأصر على تأويلها ٠ قلنا لك : وأخزاك الله ٠ لقد قضيت على مذهب منع التأويل وهو مذهبك بالفساد والبطلان ، وهذا الاقرار كاف فى هدم عقيدتك وعقيدة أتباعك فى مسألة

المتشابهات • فان قلت : لا أقول بالتاويل الا فى هذه الاية خاصة • قلنا لك : أمرك عجيب ! كأمر الشيطان الرجيم ، تحل التأويل فى بعض وتمنعه فى بعض ! فما دليلك على هذا التبعيض والتشفيق ؟ هل المسألة هندسية فكرية ، وخضوع للهوى ؟ أم الامر عقل ونقل خاضعان للقوانين العقليه والسماوية • فهات لنا قانونا عقليا ، أو قانونا سماويا اباح التاويل فى بعض الآيات وحرمه فى البعض الاخر ، والا كنت أسير هواك ! وعابد شهواتك ! وسلطان شيطانك !

ثم عجيب منك أن تجعل ربك مقصورا على سكنى السموات ، وتحرم عليه سكنى الارض بما أسفلت من خرافاتك المتلوثة فى لوثة الارض بالمراحيض والحشائش التى تلوث ساكنها بالنجاسة والزراية • ان ربك يقول : (لو كان فيهما آلة الا الله لفسدتا) والضمير فى قوله (فيهما) راجع الى الارض والسماء ، ويقول أيضا (وهو الله فى السموات وفى الارض) الآية • فمنطوق الآيات أن الله فى الارض كما أنه فى السماء ، اذ لفظ الجلالة اسم للذات المقدسة المنزه عن سمات المخلوقين ، فصنيعك هذا يوقفنا أمام أحد أمرين : فاما أن نتهمك بتكذيب القرآن الذى جعل الله فى السماء وفى الارض فنجعلك شيطانا متخبطا كافرا بالقرآن ، واما أن تقول بالقرآن فنقلع عن عقيدة اسكان ربك فى السماء فقط •

ثم ما تقول فى قوله تعالى (هل ينظرون الا أن ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) والغمام وظلله • كائنات أرضية ، فهل تقول الاية لتمثيل خيالى ؟ أم هى حق منزل؟ فان قلت : هى تمثيل خيالى فانت الكفر والكفر أنت ! اذ رميت القرآن بالخيال الذى برأه ربه منه (وما علمناه الشعر وماينبغى له) • وان قلت : حق منزل ، فكيف تنكر كون ربك فى الارض وتحكم بأنه لايتجاوز السماء ، على أن

حكمك عليه بعدم مجاوزة السماء تعجيز له . أو حجر عليه أيها المسكين ، مالك ولهذا الهراء الجامح ؟! الذى طوح بك الى تلك الحمئة المنتنة المزولة التى جعلتك تحمل المشائم الآتية : أولا اتهامك بتكذيب القرآن فى بعض آيه ، ثانيا اتهامك بالحكم على ربك بالفناء الا وجهه ، ثالثا اتهامك بتصوير ربك بصورتك الحاصلة من الجسم وأعضائه وصفاته مع نقصان فى معبودك حيث حرم المخرجين الذين لك ، رابعا اتهامك بانك اتخذت لربك مسكنا خاصا لايتعداه مع أن النصوص المتشابهة التى تمسكت بظواهرها لاتقصره على سكنى السماء ، كما أسلفنا ، بل تجعل جميع الاحياز والامكنة والجهات على نسبة واحدة من رب الارباب ، خامسا اتهامك بعقيدتك السالفه فى ربك انك اصبحت احد آل فرعون ومؤلهيه ، او احد اهل الصليب وعابديه ، او أحد العزيريين من اليهود القائلين بان الاله فى السماء ، وابنه على الارض ، سادسا اتهامك بالتروير فى النقل عن ائمة السلف حيث ادعيت ان السلف يجرون المتشابهات على ظواهرها دون تأويل اصلا مع أن هذا رد للقرآن ، وتكذيب صريح لقوله تعالى (وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم) فان هذا نص جلى على ان المتشابهات لاتؤخذ بظواهرها البتة ، وانت تحملها على ظاهرها دون تأويل وحاشا أن يكون من السلف من يقول باجراء المتشابه على ظاهره دون تأويل كماسنذكره قريبا عن الصحابة ومتابعيهم لان ذلك أى عدم التأويل مصادم للنص القطعى القاضى بضرورة التاويل فى المتشابه كله ، غير أن السلف يقفون لأدبهم الجم ورسوخ قدمهم فى الكمال عند القول بالتأويل دون تعرض لتفاصيله ، وتعين المراد منه ، فأنت ومن ادعيت عليهم من السلف نقيضان كالظلام والنور ، والكفر والايمان

أفبعد هذا البيان الشافى يصح لهذا الضال ومتابعيه أن يتشمدقوا بما ورد من الجهالات المكفرة فى رسالته الحموية

المطبوعة بالمطبعة الشرقية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ . ففيها أخذ يسرد آيات الصفات ، والاحاديث الواردة فى معناها فقال فى هذه الرساله صفحه ٤٣٤، ٤٣٥ ما نصه : قال الله تعالى (وهو السميع البصير) . (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) . وقال (ولتصنع على عينى) . وقال (مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى؟) . وقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون) . وقال رسول الله ﷺ « لاتمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط ، وينزوى بعضها الى بعض » . وقال لثابت بن قيس : «لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة » . وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من آزلكم وقنوطكم وسرعة اجابتكم . فقال له رجل من العرب: ان ربنا ليضحك ؟ قال : «نعم» قال لن نعدم من رب يضحك خيرا » وفى أشباه هذا مما لم نحصه ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شىء فى نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا فى فى أفعاله ، فكما تتيقن بان الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله أهـ .

فانظر أيها القارىء الكريم الى ما كتبه فى معرفة ربه ، وقل له هل أحد وصل من الخلق الى معرفة أثر لصفة من صفاته جل وعلا فى مخلوق واحد ، أو فى ذرة واحدة ، حتى نصل الى معرفة الصفات ؟ واذا كنا لم نصل الى معرفة أثر الصفة . ولا الى الصفة . هل نصل الى معرفة الذات حتى يقرر أن له تعالى ذاتا حقيقية يصفها بأوصاف الحوادث المشاهدة له ، قياسا للغائب على الحاضر مع وجود الفارق؟ وقد قررنا ذلك فيما تقدم عند قوله : ان الله تعالى بذاته فوق عرشه ، مباين لخلقه ، وعلى هذا فلا يكون من الامة الناجية الا من تبع السلف فى تفويض العلم الى الله تعالى فى كل المتشابه ، أو يتبع الخلف فى تأويل اللفظ الى معنى

مناسب لائق بالحق عز وجل · وأما من لم يتبع هـؤلاء العقلاء من سلف الأمة وخلفها فى الذى عليه اجماع خيار الأمة من الصدر الاول الى وقتنا هذا · ويخالف الجميع ، ويشذ برأيه بعدم الموافقة لا الى السلف بالتفويض ، ولا الى الخلف بالتأويل الحسن فيكون ضالا ، وعلى الضلالة التى هى ضد الحق وعلى مبدأ أبليس الذى هو ضد الحق وأهله ، وان لم يكن فى هذا الخير وهو الاسلام ، هؤلاء وأمثالهم للشر لانعرف الخير وأهله فى الأمة الاسلامية ، ولانعرف الضال من المهتد ·

ثم يقول : ان الله جل وعز صفات حقيقية وهى السمع والبصر واليد والرجل والفم · وقال أيضا : وسيأتى قريبا أنه تعالى يتحرك وينزل ويطلع · وأثبت أنه جالس سواء كان فى السماء أو فوق العرش · فلم يبق عليه الا أن يقول مما هو باق من صفحات الحوادث الاكل والشرب والنوم والزوجة والولد · فلست أدرى هل يقصد أن لله تعالى يدا واحدة ، أو يدين أو ثلاثا أو أكثر من ذلك ؟ فأى يد يريدها للحق عز وجل مما ذكر فى كلامه العزيز من قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم)،أو والسماء بنيناها بأيد) أو(ما منعك أن تسجد لم خلقت بيدى) ومن المعلوم ان الجمع أقله ثلاثة، فلو كان هذا الوصف فى مخلوق لنفر منه الناس ، وكذا يقال فى الأعين والآذان والاسماع وغيرها من صفات الحوادث على ما يعتقد هذا ، اذن فلا ينطبق هذا على الحق جل وقد ثبت عنهم كما سنذكره فى تفسير الايات عن الصحابة وكما هو مدون فى الفقه الاكبر للامام أبى حنيفه أن جميع ما ورد فى القرآن الكريم من صفات الحق عز وجل التى تشبه صفات الحوادث ، فهى صفات قديمة قائمة بذاته تعالى ، فهذا هو رأى السلف الذى يوفق ولم يهتد اليه كما

ستعلم قريبا وما جاء عن الخلف الذين لم يوفق هو لموافقتهم وما هو الا من بيان السلف وتاويلهم التأويل الحسن وهو خير ممن لم يوافق السلف ولا الخلف ويجعل تلك الصفات لله عز وجل وهى عبارة عن الجوارح وهذا لايتفق مع العقل السليم ، والتنزيل المحكم ، والبيان المنظم ٠

وهل قولته الشنيعة هذه أحسن ؟ أو تفسير اليد بالنسبة له تعالى بأنها عبارة عن القدرة وفيها المعنى الاقرب للعقول البشرية ، لأنهم يفعلون الأشياء ، بأيديهم ويراد بها الفعل من كل الوجوه ، وفى التنـــزيل (ذلك بما قدمت يداك) وأيضا أن معنى اليد فيها قوة التنفيذ فى العمل ، وان الرجل التى هى القدم عبارة عن القهر والجبروت اذ الانسان لا يطأ برجله الا الشىء الحقير الذى يريد اذلالة واحتقـــاره بالنسبة لقوته وبطشه ، ولذا يضرب فى الامثال لأن الانسان يقول فى استخفافه للامور الصغيرة أفعلها برجلى ٠ وعلى هذا يكون المعنى بالنسبة لجانب الحق عز وجل أنه تعالى يتجلى على النار بقره فتنزوى ٠

وعلى هذا يكون معنى العين : أى محل الرعاية والعناية كما يقال ابنك فى عينى ٠ أو مســالتك بين عينى ٠ يعنى هى محل رعايتى وعنايتى بها ، وعلى هذا يحصل التفاهم والتخاطب وفى معنى السمع يكون كناية عن شدة القرب منه تعالى لعبده ، وعلى هذا يكون معنى الضحك لازمـة وهو الرضى والاستحسان ، وذلك خير وأحسن تأويلا ، وهو أقوال أفاضل الامة الاسلامية ٠

يقول ابن تيمية : أنه يروى هذا هو تفهماته عن السلف وهاهم أفاضـــل الامة يروون عن ابن عباس وغيــره من الصحابة فى معنى الآية التى يســتدل بها على أن المراد

بالايدى الجوارح وهم يروون عن هؤلاء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ٠ قال القــرطبى فى تفســيره : ومعنى (بايد) أى بقوة وقدرة عن ابن عباس ٠قل له اين سلفه الذى يروى عنهم ؟ وأيضا فى معنى قوله تعـــالى (يد الله فوق أيديهم) أى قوة الله ونصرته فوق قوتهم ٠ قرطبى ٠ هذا هو تفسير السلف الذى يرويه عنهم خيار الامة من العلمـــاء العاملين المفسرين لكلام رب العــالمين ٠ والمراد فى قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) : أى بصفتى ، وذلك من باب تفضل الكـــريم الرحيم على أبليس اللعين من لفت نظره الى أن السجود ليس للعباده ، انما هو لشكر الصانع على الصنعة ، ومن شكر الصنعة لجودتها وفضلها ، فقد شكر الصانع لاتقانه لها ، وحسن رعايته بها ، وخاصة أنه لم يكن من أهل الخطاب وقتئذ الا ابليس والملائكة ، والمقرر عقلا ونقلا ٠ ان الملائكة خلقوا بصفة الرحمـــة ، والجان خلقوا بصـــفة الغضب ، وفى الحـــديث القدسى (رحمتى غلبت غضبى) ولمقتضى كماله جل وعلا جمع أثر الصفتين ، فى مخلوق واحد ، هو آدم عليه السلام ،ولايجمع بين الضدين الا الاله القادر ٠

ومع ذلك ذلك فقد لفت الحق جل وعلا نظر ابليس الى ذلك فلم يهتد ، ولم يوفق اليه ، بل عول على الظـــاهر المشاهد له بأن هذا السجود لغير الله تعالى ٠

ومن هنا تعرف أن كل ضال يكون على هذا المبدأ لا يعول الا على الظاهر ٠ ويقولون من يذهب الى الولى فقد ذهب الى غير الله تعالى ، ويعتقدون أن الولى يفعل أفعالا غيــر أفعال الله ، فمن يذهب اليه فقد أشرك بالله ، فهؤلاء على عقيدة وفهم ابليس فهم حزبه وجنده ٠ قال العلامة القرطبى فى تفسيره : المراد باليدين : انما هما صفتان من صفات

ذاته تعالى الرحمة والغضب · وقيل : أراد باليد القدرة · يقال : مالى بهذا الأمر يد ، ومالى بالحمل الثقيل يدان · ويدل عليه أن الخلق لا يقع الا بالقدرة بالاجماع · وقال الشاعر :

تحملت من عفراء ماليس لى به ولا للجبال الراسيات يدان

قرطبى · وهذا ما أجمع عليه علماء التفسير أخذا عن صدر سلف الأمة كما قال العلامة الألوسى فى تفسيره على معنى قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) : أى بقوة · قاله ابن عباس · ومجاهد · وقتاده · أه منه · هذا سلف الأمة يا ابن تيمية ويايها المدعى تقليدهم ·

ولولا أن يطول بنا المقام · ويكثر على القارىء الكلام لجئتك بجميع أقوال المفسرين ، وهم أئمة الدين ، ومن أحاطوا بالسنة ، وباللغة العربية · وقد أهلهم الله تعالى لفهم كتابه العزيز ، وأرشدهم الى التبين لعبادة (الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينبب) ·

النزول والحركة لله عز وجل

أثبت ابن تيمية فى رسالته الثالثة المسماة بالتبيان ضمن مجموعة الرسائل المطبوعة الشرفية المصرية سنة ١٣٢٣ هـ صفحة ٢٢٧ يبين فيها لاتباعه كعادته بالمقدمات التى يثبتها قبل الدخول على الموضوع ، ليثبت للسامع أن القرآن نطق بما يقول ويعتقد أن هذا هو الحق الذى يجب اتباعه وماعداه باطل · فقال : فى جواز الحركة على الله تعالى والانتقال له تعالى بالنزول والطلوع ، فذكر جميع ، ألفاظ النزول التى فى القرآن من نزول الملائكة ، ونزول المطر ، ونزول الحديد ، ونزول الأنعام ، ونزول الميزان وغيرها ، فأخذ منها معنى حديث «ينزل ربنا الى سماء الدنيا» نزولا حقيقيا · فقال : فقد تبين : ان ليس فى القرآن

ولا فى السنة لفظ نزول الا فيه معنى النزول المعروف ، هذا هو اللائق بالقرآن ، فأن نزل بلغة العرب ولاتعرف العرب نزولا الا بهذا المعنى ، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها ، ثم هو استعمال اللفظ المعـــروف له معنى فى معنى آخر الى بيانه ، وهذا لايجوز بما ذكرنا ،وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس أ هـ ٠

نقول : قد بينا فيما سبق أن كل لفظ عربى يحتمل عـدة معان فراجعه ٠ ولاداعى للاطالة ٠ لأن كل لفظ فى معنى الانزال مما ذكر له معنى خاصا يناسب مقامه لا كلها بمعنى واحد كما فهم ٠

والان نرد عليه فى اطلا[illegible] [illegible]ـرون فى الالفـ[illegible] الواردة فى القران الكريم ٠ [illegible] وهذا لايصح عقلا ولا نقلا ، لانه لو كان الله [illegible] يزعم هـ[illegible] الغبى ومن تبعه لكان حادثا اذ الحركة والسكون من صفات الحوادث ، وخاصة أن المتحرك [illegible] فيما يجاور ويساويه فى الحدوث من الفضاء [illegible] ، والفضــ[illegible] موجود كوجوده ، فيكون شريكا له [illegible] الوجود حتى يتحرك فيه وينزل ويطلع ، وهذا شأن [illegible] والله تعــالى منزه عن الحوادث ، لا أول له ، و[illegible] له ، وليس فوق شىء وليس تحته شىء ولـه تعالى السعة [illegible] يعنى أنه تعالى غير متناه بالذات ، ومن كان كذلك فالوجــود ذاته فأين يتحرك وأين يسكن ، وهو المسكن والمحرك : سبحانه حيث كان وقد قال فيما أعتمد عليه ٠ وضل بظاهره ما ورد فى صحيح السنة ان الله عزوجل ينزل فى كل ليلة من ليالى رمضان الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفر له ؟ حتى يطلع الفجر ، ثم قال فى صـحيفة ٢٨٢ : فى الاحـــاديث الصحيحة «ان الله يدنو عشية عرفة» وفى رواية «الى سماء

الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخـــر فيقـول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسالنى فاعطيه ، من يستغفرنى فاغفر له » وثبت فى الصحيح «ان الله يدنو عشية عرفة» وفى رواية «الى سماء الدنيا فيباهى الملائكة بأهل عرفة فيقول : انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبر ما أراد هؤلاء » وقد روى «ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان » ٠

هذا ما اغتر بظاهرة ، وضل فى فهم أصله باعتقاده أن الله بذاته يتحرك ، وينزل الى السماء الدنيا فقط ، لأنه جزم بأن الله تعالى لم ينزل الى الأرض قط ٠ قال فى صـــفحة ٢٨١ : وقد اتفق المســـلمون على أن النبى ﷺ لم ير ربه بعينيه فى الأرض ، وأن الله لم ينزل الى الارض وليس عن النبى ﷺ قط حديث فيه أن الله نزل الى الارض ٠

انظر يا أخي الىهذا الضلال البعيد فى عقيدته فى البارى جل وعلا من أنه تعالى جسم كالأجسام ، ولايليق به أن ينزل الى الأرض التى هى مأوى النقائض عن خلقه ، والقاذورات التى تصدر منهم وعنهم ٠ وقد سبق قريبا تفصـــيلنا لذلك وردنا عليه ، وعلى متابعيه الضالين مثله ٠

ولا يخفى عليك أمره وعقيـــدته فى ربه الذى وصـــفه بأوصاف خلقه من جواز الحركة والانتقال عليه ، اذ يقول : انه جالس أو مستقر أو مستو بذاته فوق عرشه مباين لخلقه فى حين أن يقول فى السموات ، وفى حين أن يقول : ينزل الى سماء الدنيا ٠ وقد سبق انه قرر أن حديث المعراج ما كان للنبى لا انه عرج الى ربه فوق عرشه ٠ وفى هذه الرسـالة صفحة ٢٨١ يقرر أن المعراج ما كان الا مناما ، وعنه أخـذ الضالون بأقواله ، وقد تكلموا به فى رسائلهم المعـــروفة المشهورة ٠ فقال : والمعراج انما كان من مكة باتفـاق أهل العلم ، وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى

(سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا ، من المسجد الحرم الى المسجد الأقصى) فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا فى كثير من طرقه أنه كان رؤيا منام ، مع أن رؤيا الانبياء وحى لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج أ هـ .

أنظر أيها القارىء الكريم الى كلام هذا الضال الذى لم يفطن له الضالون المتابعون له اذ يقول : والمعراج انما كان من مكة . هل الذى كان من مكة الاسراء أو المعراج ؟ ثم يذكر الآية الكريمة الصريحة فى اسرائه ويجعلها دليلا على معراجه !! قل لهذا الغبى ومن على شاكلته ، هل الله عز وجل أسرى به من مكة الى بيت المقدس ، وهناك نومه وعرج بروحه ، اذ الآية صريحة فى الاسراء بالعبد الذى لا يكون الا كاملا بجسمه وروحه ، وهل عرف فى أصول الشرع ، وقواعد الدين ان الله تعالى فرض عليه ﷺ فرضا لعباده وهو نائم ؟ وهل عرف أن الصلاة فرضت عليه فى الارض ؟ والا فقد عرف من القرآن والسنة واجماع خيار الامة بأنها فرضت عليه ليلة الاسراء والمعراج ، وأن العروج العروج ما كان الا لعدة أمور ذكرناها ، منها الحفاوة بحضرته ﷺ والاكرام له ، والخصوصية التى لم يشاركه فيها غيره من جميع أخوانه الأنبياء والمرسلين ، ولم يكن من شىء من مكونات الحق عز وجل الا وقد أطلعه عليه حتى يتحقق قوله تعالى : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهل يقول الحق عز وجل فى النائم (مازاغ البصر وماطغى) وقد ضل الضال بأن الله ما عرج بنبيه اليه عنده الا لكونه تعالى فوق العرش ، وخفى عليه أن الصلاة هى جماع أنواع العبادات التى شرعها لعباده من أهل الارضين والسموات. فقد جعل لفرضيتها ﷺ مكانا ساميا خاصا يليق بهما . وقد

فُهم الكثير من الناس من قول موسى عليه السلام للنبى ﷺ «أرجع الى ربك» انه ﷺ كان يفارق موسى عليه السلام ويرجع الى المكان الذى فرضت فيه الصلاة وهذا خطأ محض ، والحق أن قول سيدنا موسى عليه السلام ارجع الى ربك معناه التجىء اليه ، فكان ﷺ يلتجىء الى الله فيحط منها على ما ورد ، والا فهما عليهما الصلاة والسلام يعرفان أن الله تعالى معهما وأن سنته تعالى مع عباده أن يطلبوا منه ويؤيد ذلك ما جاء فى الرواية ، أنهما عليهما الصلاة والسلام فى آخر مرة سمعا خطاب الحق عز وجل وهما فى السماء السادسة عليهما الصلاة والسلام «أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى ، فهى خمس فى الفعل وخمسون فى الاجر » هذا هو البيان الحق يأيها الضالون المتابعون للضال ، المتضارب فى كلامه ، المضطرب فى ألفاظه وأقواله الذى لم يفرق بين الاسراء والمعراج (ومن يضلل فلن تجد له وليا مراشدا) ٠

العندية والمجىء

يظن الغمر أن لله جهة ، وله جسم ، وله مكان حتى أنه جعل جميع ألفاظ القرآن التى منها لفظ (عند ربك) يعنى بها فى مكانه وبجواره ، كقوله تعالى (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقله تعالى (عند ربهم يرزقون) وغير ذلك من جميع الآى التى تشبه ذلك ، والأحاديث كقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال « ان الله كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى » وفى راوية «سبقت غضبى» فظن الجهول ان العندية عندية مكان،وهى مستحيلة بالنسبة له تعالى ، وانما هى عندية مكانة بمعنى التشريف والتعظيم ، وهو المعنى المعقول المناسب لذاته تعالى المنزهة عن المعان ، ومعنى «فى كتابه» : أى المنسوب

اليه تعالى الذى لايطلع عليه غيره ، فهو مما استأثر بعلمة تعالى «وفوق العـــرش» : أى دونه ، لأن العرش أكبــر المخلوقات بدليل (رب العرش العظيم) • (ورب العــرش الكريم) • فيكون معنى «فوقه» : أى دونه ، بدليـــل قوله تعالى (ان الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضـــة فما فوقها) : أى مما دونها ، لعله اتضح لك ماضل فيه هو ، واستبان لك السبيل فيما جهل وعمى عليه (فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) •

وفى المجىء الذى ضل به وفيه المذكور فى قوله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وفى الحديث « هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا ، فاذا جاء ربنـــا عرفنـــاه » اذ المجىء والذهاب من صفات الحوادث ، التى من شأنها الســـعى والمشى ، والغــــدو والرواح من تلك الصـــفات التى هى مستحيلة عليه تعالى فيكون المجىء فى الآية الكريمة أمر ربك يعنى صدوره وفى الحديث «التجلى لعباده بصـفات تشاهد بالعين فيضل بها الضال فى الدنيا • وأما المؤمن يعرف بأن الله تعالى لايرى بالأبصار بل بجميع الجوارح فيقول (هذا مكاننا فاذا جاء ربنا عرفناه) فاذا تجلى عليهم الحق عز وجل بالرؤية التى يعرفونها من العلم والدين فى الدنيا (فيقولون : أنت ربنا) كما يشهد لذلك العقل السليم والنقل المحكم (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعلقها الا العالمون) •

العجب العجاب

ومن عجيب ما تقرؤه عن هذا الضال ومن على مبادئه الخاطئة ، بعد أن يصف الحق تبارك وتعـــالى بما جاء فى كلامه العزيز على ما فهم أنه تعالى له صفات الحـــوادث

قوله مضللا لمتابعيه (ليس كمثله شىء) ظنا منه أن ذلك يخرجه من ورطة تمثيله لربه بصفات المخلوقين ، وسينجلى لك أنه حين أورد هذه الآية غير مهتد فى فهمها ، وضلالاته فيها أشنع وأفظع من ضلالاته فى صفات الحق التى نزل فيها الى الدرك الاسفل من الجهل والتخبط لانه على ما يفهم ، وغايته أن الحق تبارك وتعالى ليس لذاته مثيل ، ولالصفاته ، ولا لافعاله .

وكيف هذا وقد وصفه بتهمه الضال بأن ذاته فوق عرشه مباين لخلقه فى سمائه لاينزل الى الارض ، وله الجهة ، والمكان ، والجوارح ، وأن أوصافه تعالى هى ماجاءت فى القرآن وما هى الا منطبقة على أوصاف البشر تماما . ولم يفرق بين الممثل والممثل به والممثل له . ومن المعلوم عقلا ونقلا أنه تعالى ما ضرب الأمثال فى كل شىء الا للبيان والايضاح فى المقام الممثل له ليقرب المعنى للعقل البشرى ، فيصل به الى المعنى المراد ، لأن الممثل به انما هى صفات البشر للعلم بهابالمشاهدة ولولاها لماعرف المثل وهل الممثل به يكون كالممثل له من كل الوجوه ؟ كلا ! بل لابد وأن يكون فيه ما يلائمه ، وهو لازمه حيث انه لا ينطبق عليه من كل وجه والا لما كان مثلا يحتاج الى ذكره .

وحكمة ذكر المثل فى الكلام العزيز . لائتلاف العرب ذلك ، وقد اعتادوه فى جميع كلامهم ، ولايكون حسنا الا به . وفى ضرب الأمثال زيادة فى الكشف وتقوية للبيان. ويضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفى . فى ابراز خبايا المعانى ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل فى صورة المتحقق ، والمتوهم . فى معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لثورة الجامح الأبى .

ولأمر ما أكثر الله تعالى فى كتابه المبين وفى سائر كتبه أمثاله ، وفشت فى كلام رسول الله ﷺ وكلام الانبياء والحكماء · قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) ومن سورة الانجيل سورة الأمثال ·

والمثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل · وهو النظير · يقال مثل ، ومثل ،و مثيل ، كشبه وشبه وشبيه · ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ·

ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ، ولا جديرا بالتناول والقبول ، الا قولا فيه غرابه من بعض الوجوه ، ومن ثم حوفظ عليه ، وحمى من التغيير ، وهو بمعنى · المثل والممثل والمثيل كشاف هذا وقداستشهد بالاية التى بينها وبين عقيدته تمام لمباينة ، لأنه كيف يجرى عليه تعالى صفات الحوادث ثم يقول بعدها (ليس كمثله شىء) نقل له : أنت وصفت الله بالجسمية ، وهذه صفة الحوادث ، ولم نعرف ذلك الا منهم ، ووصفته تعالى بالاختصاص بالأمكنه على العرش أو فى السموات ولاينزل الى الارض ، وهذه صفة الحوادث أيضا ، لأنهم هم الذين يختصون بذلك ، وما خلقت الأمكنة الا لهم ، ولم يعرف ، ولم يميز بعضهم عن بعض الا بها ، ووصفته تعالى بالجوارح ، وهى صفة الحوادث ولم تعرف الا بها ، ووصفته تعالى بالحركة ، وقلت قولتك الفاحشة المشهورة انه تعالى ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزلت الدرجة والدرجتين من منبرك المشئوم على ما قاله ابن بطوطة ! فما معنى أخذك بعد هذا بقوله عز وجل (ليس كمثله شىء) أفبعد هذا شىء مثل الجهل الذى ينبو عنه جهل البهيمة العجماء ؟ وكيف يكون النار فى مكان وهو ذويد ورجل ورأس وما حوى وظهر

وبطن وغيرها من باقى الجوارح ليس مثيلا لمن له تلك الجوارح ؟ وهذا ما يفهمه كل عاقل من العقلاء ، والا فما معنى المثلية عنده ؟ اللهم الا أن يكون المحاكم الخبل والجنون الذى لا يفرق بين الشىء وضده ، ولابين النفى والاثبات ، ولو صح أن يكون هذا حكما لصح أن نقول فى كل آدمى (ليس كمثله شىء) وهنا الطامة الكبرى من التخبط والاختبال المفضى الى مذهب من مذاهب اللاأدرية اذ يقولون فى الشىء الواحد وفى الان الوحد النفى والاثبات ، جريا على ان الشىء تحت الاعتقاد ، فان شئت جعلته مثلا ، وان شئت جعلته غير مثل ، واذا لم يكن مثلك حقيقيا بالأغلال والأصفاد والسجن والتنكيل فمن ذا يكون لذلك أهلا الا المجنون الذى لايعقل المثل والمباين ، ؟! حقا انه رمز ابليس ، وعنوان الخبل ، ما ترك كبيرة ولاصغيرة من المفتريات ، والمتناقضات ومذاهب جميع الفرق المخالفة المارقة من الدين الا وقد أتى بها فى جميع كتاباته ورسالاته التى تلقاها ونقلها عنه الضالون الذين هم على تلك المبادىء الخاطئة ، ليستمر الضلال ضد الحق الى يوم الدين (ذلك تقدير العزيز العليم) .

ومعنى (ليس كمثله شىء) كما عليه أهل الحق والتحقيق من علماء الأمة الاسلامية نقول :

لايخفى عليك أن القرآن عربى وبلسان العرب جاء ، وبما يتعارفون ويتخاطبون خاطبهم الحق عز وجل على لسان نبيه ﷺ بما يفهمون ، وهو أنه سبحانه وتعالى ليس له مثل ولا شبه ولانظير . فلو كان له تعالى مثل أو شبه أو نظير ، لانتفت عن هذا المثل هذه الأوصاف ، فيكون انتفاؤها عنه جل وعلا من باب أولى ، كما تقول فى المثل العربى : مثلك

لايبخل ،فذفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك • فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على أخص أو صافه فقد نفوه عنه • كشاف هذا هو المختار عند جميع المفسرين للقران الكريم فراجع ماشئت عليها • ولولا خشيه الاطالة لجئتك بجميعها ، لتعرف من هنا أن الضال يتــــرك الأمة الموحدة جملة ، ويتبع رايه الفاسد ، وهواه المضل ، وياليته وقع فى الضلال وحده ، بل لابد أن يضلل معه اتباعه لسبق شقوقهم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) •

ومما هو من الغرابة والضلالة بمكان أنك اذا ضيقت على الواحد منهمو هو يصف الحق سبحانه وتعالى يقول لك : (ليس كمثله شىء) : أى له صفات لا يعلمها الا هو ، أو بما يليق به • فحال الضال منهم كحال من اذا سئل عن رجل هل هو فى البيت ؟ فيقول : نعم لكن لاأدرى ! فيوقع السائل فى حيرة ، وهكذا حالهم ، يثبتون وينفون كما قال العــــلامة القرطبى ،وسنبين ذلك عند كل مناسبة (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) •

الفصل الثالث

فى معرفة الخير والشر من أين يظهر

مما لايخفى على كل ذىعقل متعقل أن الله تبارك وتعالى هو الخالق للخير والشر اذ هما مندرجان تحت قوله تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وفى قولــه تعالى (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) والمراد بالزوجين المتقابلان ، فالوجود كله على المقــابلة والمماثلة وليس والمراد بالمقابلة والمماثلة الجهات الست فحسب وهى أمام، وخلف ، ويمين ، وشمال ، وفوق وتحت ، بل ما يعم كل

متقابلين كالذكر والأنثى وماشاكل ذلك من النور والظلمة والسواد والبياض والليل والنهار والنوم واليقظة والصحة والمرض والغنى والفقر والكرم والبخل والجبن والجرأة والمرارة والحلاوة والشقاوة والسعادة وما شاكل ذلك فى كل الموجودت حسية كانت أو معنوية بل فى كل ذرة من ذرات المتصل منها والمنفصل ومن أهم الموجود الدنيا والآخرة فالدنيا فيها الخير والشر مما ذكرنا والآخرة كذلك بل فى كل ذرة من ذرات الموجود فيهما كذلك - وهذا على مقتضى كما له جل وعلا لأنه تعالى لو أوجد الخير الصرف ماعرف سبحانه بكامل صفاته ولم يعرف ما يقابل الخير وهو الشر فكان الوجود على هذا الوضع الكمالى منه جل وعلا من اكبر الحكم العاليه فى تكوين الموجودات (فتبارك الله أحسن الخالقين) وخاصه العقول البشريه التى بها امتاز بنو البشر عن جميع مافى الوجود وعليه كانت حكمه ارسال الرسل عليهم الصلاه والسلام (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولو لم يوجد الله تعالى المقابل لكان ذلك يشعر بفقدانه له اذ فاقد الشىء لايعطيه وهو محال عليه سبحانه وتعالى لمنافاته لكماله جل وعلا (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) .

وأعلم أن مبدأ الوجود . هو الحق المخلوق به فيما أبانة لنا سبحانه وتعالى على الخير الصرف وهوالاصل لكل مكون وبه ومنه أبدع الله المكونات فكانت على ذلك المبدأ الذى لا يرى ولايعرف للعارفين من العقلاء الا بالخير الصرف ولكنهم لايجهلون أن مقابله كمين فيه وببديع صنعته جل وعلا لايرى ولايعرف ما يقابل الخير لا اذا ظهر منه ، يعنى أنه لا يظهر ذلك الشر الكامن فى الخير كمون الملح فى الفاكهة وكذا ما يقابله فى زيادة الاستعمال أو الاستمرار

عليه زمنا فلا يظهر الشر الا اذا أوجب الله تبارك وتعالى الخير أولا وبوجوده يظهر الشر اما منه أو مما يقابله فى مخلوق آخر دفعة واحدة مقابلا مضادا للخير كما فى آدم عليه السلام ظهر المخلوق لمقابلته وهو ابليس عليه اللعنة مقابلة تامة لاينقص أحدهما عن الآخر شيئا فى تكوينه،وان كان أفراد الشر فيما يتراءى لنا أنه أكثر ولكن الخير القليل بمعونته له تعالى يغالب الشر كما وكيفا قال تعالى فى الآية العامة لكل متقابلين (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) وقال تعالى (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا) فهو سبحانه وتعالى الخالق للخير والشر وحده لاشريك له - او قد يكون مصدر الشر واحدا وهو الخير وهو المشاهد الخير ، فهذا ادم ابو البشر عليه السلام وهو خليفة الله تعالى فى الارض كان أبا للانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والأولياء المكرمين والطيبين من المؤمنين - وابا للمشركين والكافرين والمجوس والنصارى واليهود والصابئين ومن يعتقد فى الطبيعة وتأثيرها فى المولدات من الفلاسفة ومن يعتقد بعدم وجود آله - فمصدر هذا الشر هو مصدر الخير (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ولما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام (انى جاعلك للناس اماما - قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين) .

لعله قد استبان لك أن مصدر الشر هو الخير الصرف - وقد سئلت فى هذا المعنى فأجبت السائل فتعجب لذلك فضربت له مثلا هل لك ابن ؟ قال نعم . قلت له هل كبير

متزوج ؟ قال نعم . قلت له . لما ولد هذا الأبن كيف كان سرورك به ؟ قال عظيما قلت له طبعا أخذت فى الاعتناء به من العناية والرعاية والتربية والتعليم بكل مافى وسعك من قوة حتى بلغ النهاية المعتادةوأثمر وزوجته وهذا طبعا خير واحسان منك اليه قال نعم . قلت له هل يجيئك بالثمرة أو يذهب بها لزوجته ؟ قال بل لزوجته . قلت له هل هذا خير لك أو شر ؟ فقال بل شر قلت له مصدره صنعك الخير له فامتنع وسكت وقلت له هكذا سنة الله تعالى فى خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

واعلم ان الخير هو المراد للحق عز وجل من عباده وهو الذى يحبه من عباده ، ويتعبده وقد امرهم به تعالى على لسان انبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وهو ما يسمى بالطاعة والبر له تبارك وتعالى قال عز من قائل (انى احببت حب الخير عن ذكر ربى) اى انما احببت المحبة الشديدة للخير عن ذكر ربى وامره به تعالى على ما قرره الامام الفخر والعلامة الالوسى ، وفى الحديث الشريف وقد سئل ﷺ عن الخير والشر بعنوان البر والاثم فقال : (البر ماحاك فى صدرك وودت أن يطلع الناس عليه ، والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع الناس عليه) .

وان كان لفظ الخير جاء فى القرآن الكريم بمعنى المال لحب الناس له الحب الشديد لما فيه من مصالحهم قال تعالى (وما أنفقتم من خير) وقال تعالى : (وانه لحب الخير لشديد) وقال تعالى (ان ترك خيرا الوصية) وقد سئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهه فى الوصية فقال للسائل «ان مالك ليس بكثير» يعنى أن المال القليل لايسمى خيرا كثيرا على رأى بعض العلماء .

لعلك قد عرفت أن الشر أصله ومصدره الخير ، ولولا

الخير ماعرف الشر ولاظهر وانا قد ذكرنا لك سابقا مسألة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ووأده لابنته ، وأبليس عليه اللعنة وما كان فيه قبل آدم ، ومقابلته لآدم عليه السلام بالشر ، وبيانا لك هناك ، ان الله تعالى يخلق الموجود من الآدميين ولاتعرف ما خلق لأجله الا بأعماله وما يظهر منه من الخير والشر وبهما تكون نتيجة الشقاوة أو السعادة ولكن لايميز الخير عن الشر الا بميله لأحدهما بفطرته وطبيعته وان كان فيما يظهر للناس أنه فى الشر أكثر وأظهر ولكنه يكون منكرا على نفسه راجيا توطئتها وخروجها عن هذا الشر هو فيه الى الخير ، لحبه لذلك بطبيعته وفطرته حتى يجىء الزمن الذى شاء الله تعالى فيه خروجه من الشر الصرف الى الخير الصرف قال تعالى (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) وقد يخلقه أيضا ولاتعرف ما خلق لأجله الا بعمله فيما يبدو للناس بأن خيره أكثر من شره ولكن بفطرته وطبيعته للشر أحب ، فاذا جاء الزمن الذى يشاء الله تعالى فيه اظهار الشر الصرف يقلع عن الخير مطلقا الى الشر المطلق قال تعالى : (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون) وفى بيانه الشريف ﷺ فى الحديث المروى عند أصحاب السنن والمسانيد أنه قال : «وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فسيبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وهاهم الضالون والمارقون والخوارج عما أجمع عليه المسلمون نرى الواحد منهم فى صغره يذهب به الى تحفيظ

القرآن الكريم وبعده الى علوم القرآن وهذا خير ، ثم يذهب به الى تلقى العلوم الشرعية ووسائلها ثم العلوم العربية ومستلزماتها وهذ أيضا خير ثم الى تفسير القرآن المجيد ومعانى السنة المطهرة وهذا أيضا خير ، لكن فى سيره فى ذلك التعليم الظاهر بأنه كله خير فمن كان من أهل السعادة أزلا فهو لايزال مستمرا فى هذا الخير عاكفا عليه فلا يحيد عنه ودائما بميله ونظرته وطبيعته يجنح الى حب الاستطلاع الى ما أجمع عليه علماء الأمة الاسلامية وهى السواد الأعظم من المسلمين لايلتفت ولايبالى لآراء وكتب المخالفين من الفرق والشراذم المارقين الخارجين عن اجماع المسلمين وان صادفه من مبادئهم فى كتب أهل الخير والاجماع شىء يعرف أنه ماجىء به الا للحذر منه ولمعرفة الردود عليهم من أهل الخير ليقاوموا أو يقطعوا حجة المخالف بالأدلة العقلية والنقلية سواء كان ذلك الرد مكتوبا فى كتب أهل الاجماع أم يسمعه من أفواه أهل الخير فيعرف كيف يرد على المخالفين والخارجين عن أهل الاجماع فيتبعه قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هى أولوا الألباب)

وأما من غلبت عليه شقوته منهم فتجده مع سيره فى الخير واستماعه واطلاعه عليه ، نزاعا الى حب الاستطلاع على كتب المخالفين لاجماع المسلمين والخوارج عنهم ميالا الى ذلك بطبعه وفطرته التى خلقه الله عليها فلا يحيد عنها وائما يكعف عليها ويقول بها فى أثناء طلبه للخير والسير فيه . كابن عبد الوهاب وما كان عليه وحاول والده وأخوه الشيخ محمد ابن سليمان عليهما الرحمة أن يرجعاه عن ذلك فلم يستطيعا وكانا يحذران الناس من سماع أقواله وضيقا وشددا عليه الى أن خرج الى عرب الدرعية فوجد أهلا وسهلا وأرضا صالحة لانبات تلك البذور السيئة الخاطئة

شهرته قال تعالى : (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) ٠

وهذا لا يخفى على ذوى القلوب النيرة والعقول السليمة المميزة الراجحة ، ان من مقتضيات كمال الحق جل وعلا وجود الموجـــودات على حالتين فى كل شىء ، حتى فى العقائد والايمان ليتم بذلك النظام الكونى فى هذه الحياة وفى العقبى كذلك ٠ ولهذا جعل للضلال دعاة لاينقطعون عن هذه الدعوة مابقيت الدنيا وسماهم حزب الشـيطان ويزعمون أنهم على الحق ، وعليه يقولون ، وبه يعملون ، واليه يدعون (ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون) كمـا هو زعم ابليس ، وعقيدته ٠

وللحق أيضا دعاة لاينقطعون عن الدعوة اليـه مابقيت الدنيا ، وبه يقولون ،وعليه يعملون ،واليه يدعون وسماهم حزب الله (ألا ان حزب الله هم الغالبون) (كل حـــزب بما لديهم فرحون) (زينا لكل أمة عملهم) (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) (والذين اهتـدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ٠

هنا يقف الحيران مكتوف اليدين فلا يدرى أى الفريقين أحق بالأمن ٠

فبتوفيقه تعالى أرشده الى الحق والى طريق مستقيم ، وهو ما عليه الجماعة وهم أهل الاجماع ٠ وقد ســـماهم الحق عز وجل بالأمة ، وهم السواد الأعظم من المسلمين ، وأمر عباده باتباعهم ، وجعل اتباعهم واجبا على كل من يطلب الحق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ،وأوعد مخالفيهم الوعيد الشديد بقوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ويتبع غير ســـبيل المؤمنين ، نوله ما

تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقد بينهم ﷺ فى سنته المطهرة بقوله «وستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة» قالوا : ما هى يا رسـول الله ٠ قال : «الجماعة» وفى رواية «السواد الأعظم» وفى أخرى «ما عليه أنا وأصحابى » الحديث يرويه البخارى وغيره وهذه الأمة قد عصمها الله تعالى من الضلالة بدعوة نبيها بقوله ﷺ «سالت ربى أن لاتجتمع أمتى على الضلالة فأعطانيها» رواه الامام أحمد وفى أخرى «لاتجتمـع هذه الأمة على الضلالة» وفى أخرى «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع بقة الاسلام من عنقة » وفى أخرى «قيد شعره» وفى أخرى «يد الله مع الجماعة» وفى أخرى «من فارق الجماعة شبرا فمات الا مات ميته جاهلية» ٠

فيا أخى من خالف هؤلاء فهو من الفرق التى سماها الله تعالى ورسوله ﷺ ٠ فأنتَ بنور الايمـان تبصر ، فمن وجدته مخالفا للاجماع فعده من الفـرق المارقة بدون أن تسال عنه ، لأنه لابد وأن تجده مخالفا ولو فى ناحية من النواحى ، فهذا م يرضى بحكم الله ورسوله ، ولم يوافقهم عليه فى البيان لعباده ، فهو على مبدأ من أسس لهم هـذه الضلالات ، وهو أبليس وبالمخالف يعملون ٠

وانى أذكر لك من على تلك المبـاىء ، فانظـر الى ابن تيمية كان فى أواخر القرن السابع ومات فى أوائل الثامن سنة ٧٢٨هـ ٠وقد بينا لك كلامه من كتبه فى معرفة الحق جل وعلا ، وسنذكر لك نبذة من تاريخه وتاريخ من فتن من الناس بعده قريبا ان شاء الله تعالى ، وهاك شيئا من كتب من على تلك المبادىء من أهل هذا العصر الذين يدعـون الى تلك المبادىء وبها يعملون قالَ رئيسهم الداعية لهم الآن فى مجلته التى سماها بالهدى النبوى ، وهو إسم كتاب

لابن قيم الجوزية ، فى العدد ٢٨ شهر رجب سنة ١٣٥٨ هـ الجزء الرابع من السنة الثالثة تحت عنوان « تفسير القرآن الحكيم » يفسر فية من القرآن من قول الله عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء) الآية ٠ وأخـذ يجمع جميع الآى التى فيها اسـتوى لهـذه المناسـبة ويفسرها بأن الله تعالى فى السماء وعلى العرش ، ويقول فى صفحة ١٦ من هذا العدد : ان الاجماع منعقد على أن الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازا ٠ وأخذ يسرد من أقوال الضالين السابقين لـه فى الضلالة ، اذ يقول مضللا لأتباعه ان الاجماع منعقد على ذلك٠ ما هو الاجماع ياشيخ؟ هل هم السواد الأعظم من خيار المسلمين ! أو هم الشرذمة الاقلية من فرق الضالين ؟ وهكذا كتاباته ، ومحاضراته ، ودروسه ، يموه فيها ويضلل البسطاء ، والبرءاء ، وضعفاء الايمان من العوام الاميين وغيرهم ممن لايعرفون شيئا عن الدين ورجـاله ٠ وفى آخـره صفحة ١٨ وقع بامضائه ذلك التوقيع المشهور الذى أوخذ به ، ولولا شفاعة الشافعين ٠ لهلك مع الهالكين ، وهـذا نص التوقيع : كتبه الفقير الى عفو الله المتسوى بذاته فوق عرشه !! فانظر يا أخى فى هذا الحاضر اللاحق ، وما قدمناه من السابق وقارن بينهما ٠

مضحك ومؤلم

مـن المتعارف بين الناس فى الأمثـال : أن شر البلية ما يضحك : شاء ربك لحكمه العالية أن يوفق الشيخ ٠٠ لطبع كتاب ونشره لعثمان الدارمى ، يرد فيه على بشر المريسى فى مواجـهة تلميـذه ابن الثلجى الطبعة الأولى بالمطبعة المسماة بمطبعة أنصار السنة ـ عن نسخة قديمة مكتوبة فى سنة ٧١١ هـ بتحقيق ذلك الشيخ ٠ وقد كتب له مقدمة بخطه

قال فيها منتقدا علم وعلماء التوحيد فى صفحة «ز» وسماه علوم الفرس وفلسفة الهند واليونان فى الالهيات وزخرفوها بشتى الوسائل من أنها موافقة للمعقول ، وأنه من العار على الانسان أن يلغى عقله ولا يحكمه فى منقول العلوم ، ولابد أن يكون له سلطان على كل شىء حتى فى صفات الله وأسمائه والدار الآخرة وشئونها ، وما أعد فيها لأهلها .

فانظر يا أخى الى هذا الشيخ الذى ينتقد علماء الاسلام ورجال الدين الأعلام الذين أقاموا البراهين العقلية ، المتفقة مع الادلة النقلية ، على معرفة وتنزيه خالق البرية . ويسمى علم التوحيد فى دروسه : بعلم التوحيد . استهزاء وسخرية ، وفى الوقت نفسه نجده شارحا لكتاب بن عبد الوهاب بل كتابيه فى علم التوحيد ، فلست أدرى كيف ينكر علم التوحيد للامة الناجية ويعتقد ويقر كتب المخالفين ، الذين يقررون لله تعالى صفات الحوادث ، والمكان ، والجهة ، والحركة ، وخيار الامة الاسلامية ينفون ذلك عنه جل وعلا بالبرهان العقلى والنقلى . وهذا يتبع المخالفين الذين يأخذون بظاهر اللفظ من القرآن فى صفات الحق جل وعلا ويتأولونه فى غيرها ، ولو كان الظاهر فى نظرهم يجيز على الله الحدوث اعتقدوه ، ويقولون (ليس كمثله شىء) وهم لا يعرفون معناها كما قدمنا .

يقول ذلك الشيخ فى هذه المقدمة بعد أن كتب وبرهن على أن هذا الكتاب من أجل الكتب وأعظمها كما قال ذلك ابن قيم الجوزية . وشيخة وصاحبه ابن تيمية يمتدحان هذا السفر الجليل ، فاذا هو ينتقد هذا المؤلف انتقاد المحب المؤيد . قال فى صفحة (ك) والتى تليها : وهو فى الواقع كما قالوا : لولا أنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه اليها عنف الرد وشدة الحرص على أثبات صفات

الله وأسمائه التى كان يبالغ بشر المريسى الضـــال المارق وشيعته فى نفيها ، ثم يقول مقترحا على من أسس له ولابن تيمية ولابن قيم الجوزية الضلالات : « غير أنه كان الاولى والأحسن أن يأتى بها ، وأن يقتصر على الثابت من الكتابة والسنة الصحيحة : كمثل الجسم ، والمكان ، والحيز !!

أعوذ الله من الشيطان الرجيم !!! أهذه الصفات «الجسم والمكان والحيز» هى الثابت والسنة الصحيحة ؟ !! وهل بعد ذلك تريد أيها القارىء برهانا قاطعا على هذا الضلال البعيد والكفر الصريح ! ٠

ولتزداد أيها القارىء ، يقينا بهذا الحكم عليه أحيلك على مجلة المسلم فقد ذكرت بالعدد السابع من السنة السابعة محاكمته على هذه المقدمة المكفرة بناء على الدعوى التى أقامها عليه أفاضل علماء الازهرولولا شفاعةالشافعين لكان عبرة للمعتبرين ٠ ومع ذلك لم يبرأ من دائه الدفين ولم يرجع ضلاله المبين بل قال بعد ذلك فى مجلته التى يسميها بالهدى النبوى بتاريخ رجب ١٣٥٨ ص ١٨ جزء ٤ من السنة الثالثة ما نصه : كتبه الفقير الى عفو الله المستوى بذاته على عرشه ، ونشر بهذا العدد مقالا لأحد أتباعه المحامى الشرعى جاء فيه أنه تعالى مستقر بذاته على عرشه ٠

فهؤلاء قد أشربت قلوبهم هذا الضلال الذى لاشفاء لهم منه ، فحق عليهم قول ربهم «لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم» ٠

هذه نبذه له أيضا فى ذلك الكتاب صفحة ٤ قال الدارمى يرد على بشر المريسى فى مواجهة تلميـــذه ابن الثلجى : وكيف يهتدى بشر للتوحيد وهو لايعرف مكان واحـــده ؟ قال الشيخ ٠٠ مبينا بتعليقه فى أسفل الصفحة : كان خيرا

لو قال (أين) ولم يقل (مكان) ينتقد الشيخ من يسميه بالامام الدرامى ويخطئه فى قوله : مكان واحدة ، ويقـــول : كان الأولى له أن يقول : أين واحدة ، ولايعرف الشيخ معنى لفظ أين الذى تركه أمامه ، لأنه يستفهم به عن المكان ٠ وكأن الشيخ لم يعرف للمقولات فى الحكمة والفلسفة طريقـا اذ فيها : من الألفاظ الموضوعة من لفظ ٠ كيف ومتى ٠ وما ٠ واين لايشار بها الا للحوادث ،واطلاقها على الله تعالى محال وربما يتوهم الغمر أن له مستندا يرتكز عليـــه فى معنى «أين» على ما ورد فى بعض الأخبار من حيث الجارية من قوله الشريف ﷺ «أين الله» فما هو الا من باب أعلى طبقات البلاغة ، وحسن الخطاب ، بالقاء الكلام الى السامع بحسب المتعارف له وفهم الخطاب ، وهو على ما كانوا يعتقـدون بأن الله فى السماء ، وخاصة أنهم حديثو عهد بكفر ، ولمثل هذا حكى الحق عز وجل من سؤال فرعون لسيدنا موسى فى قوله (ومارب العالمين) ومن المعلوم عقلا ونقلا ، أن «ما» لا يسأل بها الا عن الحقيقة ٠ وسيدنا موسى عليه الســلام يعرف غرض السائل وحقيقة السؤال فجنح بالسائل الى ما هو أليق وأنسب بالمسئول عنه فأجابه بآثار صفاته تعـالى وخصوصياته التى لم يشاركه فيها أحد بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) ولم يجبه بحقيقة ما وضعت له «ما» التى هى أخت «أين» فى الوضــــع يأيها الداعى لتلك المبادىء ، لا كما فهمت أنت ، فلو وقع هـذا السؤال من فرعون لك لقلت له كما تعتقد ، أنه جسم ، وفوق العرش ، وفى السموات ، وينزل ويطلع كأنه جان ، ولكن كـل اللـــوم عـلى فرعـــون الذى لم ينتظـــــر حتى تجيئه فى آخر الأمة المحمـدية أنت ومن معـــك على تلك المعرفة الخاطئة لرب العالمين ٠ فكنت وافقته ووافقك على تلك العقيدة الخاطئة ٠

على أن «مكان» التى أردت تغييرها «بأين» هى أوضح من «أين» لأن «أين» تحتاج الى توضيح فلا تفسر الا بالمكان الذى تعتقد أن الحق جل وعلا فيه · ولكن أمامك الدارمى ذكر مكان واحده وهو أفصح بيانا منك ·

لعلك أيها القارىء الكريم عرفت مما تقدم لك من كتابات ذلك الشيخ فى مجلته ومقـــدمته لطبع كتـــاب الدارمى وتعليقاته عليه وشروحه لكتب ابن عبد الوهاب وتعليقـــاته على رسائلهم أنه هو على مبدأ أسلافه الضالين ·

ولعلك فهمت من طبعه لهذا الكتاب المعنون له بالعنوان الفخم الضخم الذى ينطبق عليه قول القائل :

لاتعجبنـــك أثـــواب على رجـــل
فهى بالمـــاء والصـــابون نظيفـــة

تشـــبه البيضـــة لمـــا فســـدت
قشرها أبيض وقلبهـــــا جيفـــة

وخاصة أنه قد أمتدحه ، كما امتدحه سابقاه ، ابن تيمية وابن قيم الجوزية على ما بين هو لأن الكتاب سابق لهما · وما هما الا آخذان منه لأن المبدأ واحد ، والعقيدة واحدة ، وخاصة كتاباته أى ذلك الشيخ على كليمات ابن عبد الوهاب التى يسمونها برسالة التوحيد الخـــالص وما هى الا نص الآيات التى ذكرناها عن ابن تيمية ، وهكـــذا جميع من ينتمى منهم الى تلك المبادىء الخاطئة ، ويكفرون المسلمين ويجعلونهم من المشركين ، وخاصة الآيات التى نزلت بشأن المشركين والكافرين الذين رد الله تعالى عليهم فى كتـــابه العزيز ، وبين لهم أن عبادتهم لهم هى عين الكفر والاشراك ويؤولونها هم ، ويصرفون معناها الى البرءاء من المسلمين المخلصين فى زياراتهم لمن يحبهم الله عز وجل ورسوله ﷺ

ويجعلون الزيارة كالعبادة للاصنام،ولم يفرقوا بين الزيارة والعبادة ، ومن طمس بصائرهم يسمون مناجـاة الأحيـاء للاموات دعاء ، ويقولون : ان الدعاء مخ العبـادة ، فهم يدعونهم ، ولو كان كذلك لكان كل مناجاة عبـادة ٠ لدون الله واشراكا معه ، وسـنبين ذلك ان شاء الله تبـارك وتعـالى فى فصـل خـاص ٠ هذ وتراهم جميعـا فى جميع مؤلفاتهم ، ومحاضراتهم ، ودروسهم ، وخاصـة فى معرفة الله تعالى لايذكرون الا هذه الآيات ، ويضـللون البسطاء والضعفاء من المؤمنين فى معانيها ، ويخـرجون بهم عن الجادة والطريق المسـتقيم الى ما يميلـه عليهم الشيطان الرجيم ، ويقولون لهم : هذا كلام رب العالمين ، وهذا معناه ، فلا يستطيع الجاهل الا أن يصدق بكلام رب العالمين ، وحديث سيد المرسلين ، وهكذا كلهم جميعا على مبدأ واحد ، وعقيدة واحدة ، ولولا خشية الاطـالة والملل للقارىء والسامع لذكرت لك سلسلة الضالين ومن هو فيهم من البارزين ، من وقتنا هذا الى القدرية والخـوارج الى المنافقين الى الكفار حزب الشيطان المعارض لجميع الانبياء والمرسلين ، والعلماء ، الى يوم الدين ٠ (ألا ان حـزب الشيطان هم الخاسرورن) ٠

الدليل اقـوى برهان
والحجة تقوى بالمشاهدة والعيان

غير خاف على القارىء الكريم أنا قد ذكرنا مرارا أن ابن تيمية هو الذى قد ظهر وبرز لجمع جميع المخالف من كتب الضالين الخارجين عن أجماع المسلمين من الصـدر الاول الى وقته ٠

ولئلا تظن أنى مبالغ فى العدواة لهم ولابن تيمية ولمن يعظمونه بدون دليل ولابرهان ، فها أنا ذا أثبت لك الدليل والبرهان على جميع ما ذكرته من المخالفة والضلال ، وأن كل من سماه ضالا مضلا من معاصريه ومن بعدهم من خيار الامة الاسلامية ، فهو محق فى ذلك ويثاب على قوله انه ضال مضل ، ومن تبعه كذلك ليتميز الخبيث من الطيب ، والحق من الضلال • وها هو احد البراهين الان بين يديك ويمنكك الاطلاع عليه ، وخاصة أن الله تعالى قد قضى على الشيخ •• بطبعه ونشره وتسهيل الثمن للاطلاع عليه لتعرف ما هو فيه وما هو مشتمل عليه ، وخاصة أن ذلك الشيخ ممن قد نقل عنه ، كما أخذ ابن تيمية منه وقد قال عنه الشيخ الناشر لتلك المبادىء والداعى لها قال : وكان شيخ الاسلام بن تيمية يوصى به أشد الوصية ، وابن قيم الجوزية فى كتابة الجيوش الاسلامية يوصى به أيضا •

فانظر يا أخى الى ما جاء بهذا الكتاب الذى يمتدحه هؤلاء المخالفون فهو يقول فى صفحة ٢٠ : «الحى القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك اذا شاء ، وينزل ويرتفع اذا شاء، ويجلس اذا شاء لأن ذلك هو الفارق بين الحى والميت » •

هذ ما جاء بالذى امتدحه الامامان الجليلان ابن تيمية وابن قيم •والشيخ الناشر شيخ أهل التخريف والتحريف ، وان تشأ فقل تلميذ هؤلاء الأئمة ، وتأمل وصفهم للبارى جل وعلا بأن جعلوه كالآلة المتحركة ، ولم يتعقلوا أن الذى يتحرك فيه ومنه وهو المكان والزمان يكونان موجودين معه ، وهو منفصل عنهما ومباين لهما ، فيكونان ، شريكين للبارى جل وعلا فى الوجود ، وقد قلنا فى ردنا على ابن تيمية عند قوله التحرك والمجىء قريبا ، أعلم أنه قد ثبت بالدليل العقلى المستفاد من الدليل النقلى أن الحركة

على الله تعالى محال ، لأن كل ما كان كذلك كان جســما ، والجسم يستحيل أن يكون أزليا • هذا وان النزول والتحرك يتوقفان على ثلاثة أشياء : منتقل ، ومنتقل عنه ، ومنتقل اليه ، وهذا محال على الله تعالى لأنها من صفات الحوادث ولاتعرف الا بها •

وقال فى هذا الكتاب الذى يبالغون فى امتــداحه فى صفحة ٢٣ : ان الله تعالى له حـــد ، ويجب أن نؤمن به ، والمكان أيضا حد وهو على عرشه ، فوق سمواته ، وساق كل الآيات التى ساقها ابن تيمية المتقدمة ورددنا عليه فيهــا • وقال فى صفحة ٢٤ : ومن لم يعترف بالحد فقد كفر بتنزيلا الله وجحد آيات الله •

فانظر يا أخى الى هذا الكلام الذى ألفه صاحبه قبل أن يولد ابن تيمية ، ولما شب وترعرع عنه وأخذ منه كما أخـــذ من غيــــره ، ولم يحـــد عن هـــذا المبدأ ولم يتحــــول عن هـــذا المخالف لاجمــــاع المســلمين ، وتركـــه لسبيل خيار الأمة سلفا وخلفا ، ونبه أتباعه على الأخذ منه كما نبه على غيره من أمثاله ، فهذا هو الكتاب الذى يعطيك أقبح صورة لباطل عقائدهم فى الحق جل وعلا من اثبــات الجوارح ، وأنه تعالى جسم ويرى بالأبصار كما قال بأن الله تعالى • يدرك فى الآخرة بالنظر اليه بالأعين وهى الحاسة الثانية ، وجزم بأن الله تعالى فى السماء جالسا • قال فى صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب : ان الذى على الجبل أقرب الى الله ممن هو على وجه الارض•ومن على المنارة أقرب الى الله ممن هو فى أسفلها ، وقد قال ذلك ابن تيمية فى رســالته المتقدمة ورددنا عليه قريبا فى هذا •

فانظر يا أخى الى حال هؤلاء الضالين المصــورين لرب العالمين كأحد أفراد المخلوقين،وردنا السابق هو أعظم كاف وشاف لهؤلاء المارقين البعيدين عن فهم كــلام رب العالمين وبيان سنة سيد المرسلين • هذا وقد جئتك بشىء من كتاب

الدرامى متبوع ابن تيمية لئلا تظن فينا ظن السوء ، وأننا نرى المسلمين البرءاء بالمخالفة لاجماع المسلمين ، فها هو الكتاب السابق لابن تيمية الذى أخذ منه وعنه وقد امتدحه هو وصاحبه ابن قيم المعنون عنهما بانهما امامان جليلان ٠ وما أعطاهما هذه الالقاب ومن على شاكلتهم الا الاتبـاع الذين قد اغتروا وظنوا رسوخ قدمهم فى معرفة اللهجل وعلا وهم لم يفرقوا بين البهم والبهم ٠

فيا اخا العقل لاتخف ولا تحـزن فقد جعل الله تعـالى بمقتضى حكمته العالية لكل فرعون من هـؤلاء فى عصره موسى يقضى عليه ولكل نمـرود منهم فى عصره ابراهيم يهلكه ٠ ولكل ضال منهم محمد يمحوه كما وعد تبـارك وتعالى (فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسـكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيـد) ثم اعرف الحق تعرف أهله ، ويا اخا النصيحة الحق يعرف من حيث هو على حدته لا بالرجال وخاصة المتقولين المموهين على البسطاء والضعفاء من البرءاء من المؤمنين وقد قررنا لك فيما تقدم قريبا عن الشيخ السبكى رحمة الله تعالى أنه قال فى كتابه (اتحاف الكائنات) صفحة ١٣٩ : ومنه يتبين بطلان مازعمه ابن قيم من أن الفوقية فى الآيات والأحاديث محمولة على حقيقتها دون مجازها ٠ أهـ منه ٠ وقال فيـه نقلا عن العراقى : ان معتقد الجهة لله تعالى كافر ، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد وأبو الحسن الاشـعرى والباقلانى ٠

وكفى ماقدمناه لك من البيـان الواضـح الصريح عن أحوال الضالين فى معرفة رب العالمين ، من كتبهم المكتوبة بخطهم المطبوعة الآن بين أيدى الناس ، التى يأخـذ من سمومها كل ضال من الدعاة لهم وبتلك المبادىء الخاطئة يضللون العوام والبسطاء من المسلمين فاحذرهم ياأخى واحذر معرفتهم ، والا لو ترددت عليهم مرة بعد أخـرى لأوقع

الشيطان حبهم فى قلبك فلا تستطيع الخلاص منهم فتدخل تحت الوعيد الشديد فى مخالفى الاجماع ، وتكــون من مصداق قوله ﷺ «من نكتت نكتة فى قلبه من نكت الخوارج فلن تخرج منه الى يوم القيامة » وقد جعل الله تعالى الارشاد العام لعباده والنصـــح لهم فى مواجهـــة من نزلت الآية بخصوصهم فى قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلـــوا من قبل واضلوا عن سواء السبيل) .

أيهما أضر على بنى الانسان

أو فاذا هو ـ هى

غير خاف على ذوى العقل الرشيد والرأى السديد أن الله تعالى خلق الانسان ليعمل للخير ويرشد اليه وينصح له لا لعكس ذلك . ولهذا نجد من طغى وبغى فى هذه الحيـاة الدنيا وخاصة الان من المنافقين المنحــرفين عن الحق فمن يسمون انفسهم بالمؤمنين وهم يعملون دائبين على المخالفة بالمعارضة للحق وأهلة فهم يسعون لافساد نتائج ما خلقـوا لأجله من معرفة الله تعالى التى يترتب عليها حسن الأعمال وفوز أهلها بالخير فى المال وان دعوتهم هذه تقضى عليهم والعياذ بالله تعالى بسوء المآل لانحــرافهم عن الحق قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كـذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون) فهذا هو الوعيد الشديد لكل مخالف لأوامر الله التى بينها لعبـــاده سبحانه على أيدى رسله ودأب عليها المؤمنون ، وأما الكافر فانه يعمل مفكرا فى هلاك وتدمير ما صنعه الله تعالى وأمر بالمحافظة عليه بما يهدد به سلامة الانسان فى هذه الحياة التى يرجو فيها الانسان طمأنينة البال وصلاح الحال الذى

عليه مدار المجتمع الانسانى فيصنع من القنابل والمتفجرات والمهلكات التى تجعل الانسان دائما قلقا مفزعا قال تعالى (ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله) فهؤلاء يعملون لافساد ما صنع الله تعالى لسعادة الدنيا ويسعون فى هدم بنيان الرب جل وعلا ، وأولئك يسعون فى هدم بنيان العقيدة التى عليها سعادة الآخرة ٠

فمثلهم كمثل الزنابير والعقارب ، قال سيبويه أحد أئمة النجاة ممثلا بهذين المضرين لبنى الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، اذ أحدهما يقضى بالعذاب والألم الشديد والآخر يفتك بحياته ٠ فقيل له ٠ هل لدغ الزنابير أشد أم العقرب ؟ فقال «فاذا هو هى» قال تعالى (ان الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) فبعد أن أبان لهم سبحانه وتعالى الرشد من الغى فى كتابه العزيز الذى لم يفرط فيه من شىء فلا عذر للجهل مع وجود العلم قال تعالى (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ٠

«قولهم ان الله يرى فى الآخرة بالابصار»

قولتهم هذه يظن الجاهل أنها توافققوله أهل الحق ولكن بين القولتين بون واسع ، اذ يعتقدون أن الله تعالى يرى بالأبصار أى بحدقة العين وقد قلنا لك أن الضال فى معرفة الله تعالى ضال فى معرفة كل شىء لأنه كيف يرى تعالى بحدقة العين وهو تعالى يقول (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم

فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ)
وكيف يدركه البصر فقط ويتلذذ ويتمتع وجميع الجسم يحرم
تلك اللذات ؟! ونسبة الرؤية له تعـــالى بالبصر انما هــو
للتقريب لعقول البشر كما هو صريح القرآن وبيان السنة ،
وقد رآه جلوعلا الكثير من خواص عباده المؤمنين المسلمين
الذين هم على قدم الأنبياء والمرسلين حتى أشـــتهر عنهم
«رأيت ربى فانعكس بصرى فى بصيرتى» ٠ اللهم الا أن
يكونوا من الفرقة الأولى من المنافقين الذين يعتقدون أن
لله صورة فيظهرها الحق سبحانه وتعالى لهم عند رؤيته جل
وعلا فى الآخرة كما فى الحديث المروى عند البخـارى عن
أبى هريرة رضى الله عنه « أن الناس قالوا يا رسول الله
هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب قالوا لايارسول الله قال فهل تمارون
فى الشمس ليس دونها سحاب قالـــوا لا قال فانكم ترونه
كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئـا
فليتبعه فمنهم منيتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم
من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم
الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا
ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم الله عز وجل فيقول انا
ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعـــوهم فيضرب الصراط بين
ظهرانى جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ولا
يتكلم أحد يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سـلم
سلم » الحديث فهم لاعتقادهم ان الله تعالى صورة يعتقدون
فيها كل الجوارح وملحقاتها من الحركة والسكون فيظهر الله
تعالى الصورة الاولى للمنافقين الذين كانوا يعتقدون هذه
الصورة لله ٠ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، بعد انصراف كل
الطوائف وراء معبوداتها ،وتبقى هذه الأمة المحمدية وفيها
المنافقون الضالون الذين يعتقدون هذه العقيدة الزائفـــة

فى الله عز وجل فيسكتون ولايتكلمون ، والحكمة فى اظهار الله تعالى لعباده هذه الصورة ليميز كل منافق ضال عن المؤمن حقا وسكوتهم دليل على رضاهم بهذه الصورة التى كانوا يعتقدونها فى الدنيا ٠ وأما المؤمنون حقا فينكرونها ويقولون ليس هذا ماعرفنا به الأنبياء والمرسلون «فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه» فيتجلى الحق سبحانه وتعالى عليهم بما عرفوه عن الأنبياء والمرسلين بأن جميع الجسم يرى الحق عز وجل فتخر الأجسام جميعا ساجدة له تعالى خشية وخضوعا ، وهنا يحرم كل ضال من رؤيته تبارك وتعالى كما هو صريح هذا الحديث وغيره والآية الكريمة فى قوله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وفى قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) فالمؤمنون يعرفون الله تعالى بآثار صفاته وأسراره فى مكوناته وآياته باشراق أسمائه وينزهونه عن المشابهة والمشاكلة ويقولون (ليس كمثله شيء) فأين رؤيتهم للبارى جل وعلا فى الآخرة بالبصر فاذا كانوا ضالين فى معرفته تعالى فى هذه الحياة الدنيا - فهل يصدق واحد منهم فى شيء من معانى الآى القرآنية والأحاديث النبوية ؟ ويقصرون رؤية الله تعالى على الآخرة فقط ولاتكون الا بالبصر ، وينكرون البصيرة التى جاء بها القرآن وبيان السنة ٠

واعلم أن رؤية الله تعالى فى الدنيا ممكنة جائزة لعبادة المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من

الخواص المقربين ولو لم تكن كذلك لما صح طلبها من موسى الكليم عليه السلام وعليه صار اجماع خيار الأمة الاسلامية بأسانيدهم الى الصحابة من المحدثين والمفسرين وغيرهم من أئمة الدين الحنيف ، ولا أذهب بك بعيدا فها هو العلامة المحدث بن حجر وجميع المفسرين للقرآن الكريم من الائمة الموحدين والجلال السيوطى وغيرهم كالشوبرى والصفدى والمدبغى والشبراخيتى وجميع شراح السنة المطهـرة ومن أهل هذا العصر كالشيخ محمد بخيت المفتى والشيخ محمد حسنين مخلوف والشيخ يوسف الدجوى وغيرهم فى كتبهم ونحن بمعونته تعالى على قدم المؤمنين الموحدين ان شـاء الله تعالى الى يوم الدين وهل أحد من هؤلاء المبعدين عن رحمة الله تعالى رأى الله عز وجل ببصره فى الدنيا حتى يقـول هؤلاء فى كتبهم التى قدمنا أنه يرى فى الآخرة بالأبصار ؟! اذا كان سيد العالمين ﷺ من خصائصة أنه اذا وجـه بصره الشريف فى شخص أمامه لايستطيع الناظر لحضرته أن يبقى بصره شاخصا لعينيه بل ينعكس وهذا خلقه الله عز وجل على هذا الوضع أفهل يستطيع بصر العبد مجردا عن البصيرة أن يرى الحق جل وعلا ، على أنا قد قلنا ان حال الرائين لله تعالى فى الدنيا يختلف باختلاف مراتبهم عنده سـبحانه وتعالى ، فمنهم من يرى الحق سبحانه وتعالى مقمـاما ويكون فى هذه الحالة مجردا عن العلائق والأغيـار حتى عن نفسه فلا يرى الا الله تعالى ، ومنهم من يراه سـبحانه وتعالى يقظة وقبلها يرى الرائى ذاته قد تغيرت عن حالتها وهيئتها وصيغ صيغة أخرى حتى بعدها يصلح لرؤيته جل وعلا وسماع كلام الحق سبحانه المجرد عن الحرف والصوت وفى هذه الحالة لايرى فى الوجود الا الله تعالى ويسـمع كلامه مجردا عن جهة دون أخرى ، كما قال من كان يناجى ربه على المئذنة : سمعت الحق عز وجل يقول «لبيك عبدى»

وقد خرت المئذنة بمسجدها دكا ونزل هو على الهدم والردم فوجده كالعهن المنفوش فسأله العلماء من أى جهة سمعت النداء فقال سمعت الكون كله يقول «لبيك عبدى» وذلك من مصداق قوله ﷺ : «ما من عبد يقول يارب الا قال الرب لبيك عبدى غير أنكم لاتسمعون» ، أفمن كانت رؤيته فى الدنيا تبارك وتعالى وسماع كلامه بهذه الصفة لايرى الا بالأبصار فى الآخرة ؟! ولما كنا بصدد الرد على الضالين فى معرفة رب العالمين من المسلمين بالمسلمين وجب علينا أن نرد على باقى طوائف الكفر فى معرفة رب العالمين أيضا ٠

الحلول ومن يقول به

ومن أعجب ماترى وأغرب ما تسمع أن هؤلاء الفرق الضالة الذين ينسبون أنفسهم للاسلام والمسلمين يقولون فى الله تعالى رب العالمين بالجهة ، فهم اخوان معتقدى الجهة لله ٠ تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فهم كمن يقول من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين والكفرة وغيرهم بأن الله تعالى فى السماء ويحل بمعنى يلبس جسد عبده المقرب ، كعزير فى عقيدة اليهود ، والمسيح فى عقيدة النصارى ، والبهاء فى عقيدة البهائين ، والأغاخان فى عقيدة الاسماعيليين ، وأحمد قاديان فى عقيدة القاديانية وغيرهم منباقى الزيغ والضلال ، اذ الحق واحد وهؤلاء يتنازعونه على ماقدمنا وسنبين ، وفى بعض طوائفهم من يقول ان هؤلاء المقربين أبناء لله ٠ تعالى عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى حاكيا لنا عنهم (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا آلها واحدا لا آله الا هو سبحانه عما يشركون) فهم لجهلهم بمعرفة ربهم غفلوا عن اسراره فى خلقه ظنا منهم أن ما كان يأتى به الله تعالى على يد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الامور الخارقة للعادة البشرية لم تكن منهم ، بل لم يجرها الله تعالى على أيديهم تكريما لهم وتشريفا وليعلموا أنه من عند الله حقا ومتصل بربه صدقا ، بل يحرفونه عن مواضعه ويقولون ما ذاك الا بحلول الله تعالى فيهم كما أن هؤلاء المخالفين من المسلمين ينكرون كرامات الأولياء ويجعلون اجراءها على أيديهم مستحيلا عليهم فهؤلاءوهؤلاءيجهلون أسراررربهم فى مكوناته مع أنه سبحانه وتعالى أبان لهم فيما بين أيديهم أن مجاور الشىء يعطى حكمه فكأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يغتسلوا بساخن قط ، اذ بمجاورة الماء للنار أعطى الماء حكم النار وخاصة اذا زيدت عليه فان قلت هذا الماء فما المحرق فيه وان قلت هذه النار فأين الماء قال العارف بالله تعالى فى هذا المعنى :

نار المحبة أحرقت أحشائى
ومدامعى تنهل كالأنواء
فأنا الحريق بأضلعى وأنا الغريـ
ـق بأدمعى يا منقذ الغرقاء
فالنار والماء القراح تألفا
هذا لعمرى أعجب الأشياء
ومن العجائب ان نار تحرقى
تزداد وقدا عند فرط الماء

فهذا وأمثاله من بيان السنة المطهرة وفى الحديث القدسى المروى عند جميع أصحاب السنن والمسانيد فيما يرويه ﷺ عن رب العزة أنه قال «لايزل عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى

يشمى بها» الحديث وله روايات فهذا الحديث وأمثاله يبين أن العبد اذا اتصل بالحق سبحانه وتعالى كانت له الصفات المميزات له عن جميع البشر باكرمه جل وعـــلا له بالفعل والانفعال ، وما أجمل قول العارف بالله سيدى محيى الدين بن العربى الذىيكرهه المخالفون لاجماع المسلمين وينسبون اليه الكفر حيث قال :

العبـــد رب والـــرب عبـــد
فلـــيت شـــعرى من المكلـــف
ان قلـــت عبـــد فـــذاك رب
أو قلـــت رب فـــلا يكـــلف

فكلام هذا العارف بالله تعالى يحتمل أنه من قبيل اللغز وهو جائز شرعا كما هو مروى فى السنة من حديث النخلة وعليه فلا عيب فى الألغاز وهو مشتهر عن أفاضل الأمة ، وعليه يكون المعنى ، العبد لله رب لمنزله ورب المنزل عبد لله ويحتمل أن الانسان اذا اتصل بالله تعالى وأحبه الله أجـرى تعالى عليه يديه خرق العادة ، كالخضر فى قصـة موسى عليه السلام ، اذا نظرت للاثر فى الخارج وما فعله الخضر فلا يفعل هذا الا الله تعالى واذا نظرت الى من أجرى الله تعالى على يديه فهو العبد لله تعالى فان قلتهذا الفاعل هو الله تعالى هذا الفاعل ظاهرا العبد فهو من مصداق الحديث القدسى السابق ، فهم لجهلهم بمعرفة ربهم جهلوا أسراره فى خلقه ، على أن الله تبارك وتعالى بين لنا فى كتـــابه العزيز من كرامات الأولياء التى أجراها ســبحانه على أيديهم فى سورة البقرة ، وفى سورة الكهف التى بها ثمانى آيات أجراها تعالى على أيدى أوليـائه ، ولذا يكرهـــون قراءتها يوم الجمعة نابذين ما ورد فى فضل قراءتهـا يوم الجمعة ، أوهم يجهلونه ولم يصلوا الى معرفته فى السنة ، وهى أكبر حجة عليهم بالمخالفة لاجماع المسـلمين ، ومن كرامات الأولياء فىالقرآن فىسورة (والسماء ذات البروج) والسنة المطهـــرة ملاى بذلك ، ولاتنس أن من كرامات

الأولياء أنكر معجزات الانبيـــاء ، لأن مفيض الأمر على الاثنين هو الفاعل المختار كما ستعرفه ان شاء الله تعــالى فى باب الأولياء ٠

طوائف الانكار لوجود الله تعالى

ومما تمجه الأنفس الزكية وتستقذرة الأذواق الســـليمة وجود طوائف من بنى آدم ممن ينكرون وجود الحق عــز وجل وفاعليته فى مكوناته كالدهريين والطبيعيين ومن على قدمهم من الذين ظهر أمرهم الآن بدعوة الوجودية ، وهؤلاء على قدم منوصفهم الحق عز وجل فىأسفل درجات الآدميين والمنحطين الى أسفل درجات البهائم قال تعالى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلـــوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذن لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ٠

أما الدهريون فهم ينسبون الأفعال الدنيوية الى الدهر، وهو كر الليالى ومر العشى ويقولون هو الذى يهلكنا وهو الذى يحييناو يميتنا فرد الله تعالى بهذه الآية (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا لا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم لا يظنون) قال العلامة القرطبى كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر قال الله تعالى فى الحديث القدسى المروى عند البخارى ومســلم عن أبى هريرة «يؤذينى بن آدم ويسب الدهر وأنا الدهر بيــدى الأمر أقلب الليل والنهار » وكان المشركون أصنافا ، منهم هؤلاء ، ومنهم من كان بثبت الصانع وينكر البعث ، ومنهم من كان يشك فى البعث ولايقطع بانكـاره ٠ وحـدث فى الاسلام أقوام ليس يمكنهم أنكار البعث خوفا من المسمين ،

فيتأولون ويرون القيامة موت البدن ، ويرون الثواب والعقاب ، خيالات تقع للارواح بزعمهم ، فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار ، لأن هؤلاء يلبسون على الحق ، ويعترون بتلبيسهم ، لأن هؤلاء يلبسون على الحق ، بشركة يحذره المسلم • وقيل : نموت وتحيا آثارنا ، فهذه حياة الذكر • وقيل : أشاروا الى التناسخ ، أى يموت الرجل فتجعل روحه فى حيوان فتحيا به أهـ قرطبى •

وأما الطبيعيون فيقولون ما أوجدنا والعالم الا الطبيعة، وهى العناصر الأربعة ، وهى النار ، والتراب والهواء ، والماء • قال : العماد ابن كثير فى تفسيره للقرآن يقولون ماهناك الا هذه الدار الدنيا ، يموت قوم ويعيش آخرون وما هناك معاد ولاقيامة وهذا هو ما كان يقوله مشركوا العرب المنكرون المعاد ، وكانت تقوله الفلاسفة الالهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة والرجعة ، وتقوله أيضا الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أنفى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء الى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لاتتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا الا الدهر» فكذبهم الله تعالى بقوله (وما لهم بذلك من علم أن هم الا يظنون) أى يتوهمون ويتخيلون أهـ بن كثير •

ولهم فى تخيلاتهم أمور تضحك أبليس فيشجعهم على هذا الضلال ، من قول بعضهم : ان الواجب واحد ولم ينشأ عنه الا واحد فأوجد الفلك الفياض وهو الفلك العاشر فأثر فى الفلك التاسع والتاسع أثر فى الثامن وهو أثر فى السابع وهو أثر فى السادس وهكذا الى سماء الدنيا وهو أثر بالعناصر الأربعة التى منها كل موجود • قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وما أقل عقولهم وأنجس قلوبهم وأخبث

عقائدهم فلو كانت لهم عقول يميزون بهاكما فكروا فىهذه التوهمات الفاسدة والعقائد الزائفة فمن أوجد الدهر للدهريين ؟! وأوجد الطبيعة للطبيعيين ؟! ومن أوجد الوجود للوجوديين ؟! اليس مرجع ذلك كله الى آله قادر ومنشىء صانع ومبدع قاهر وهل هناك غير الله سبحانة وتعالى :

وأما الوجودية فهمطائفة كأسلافهم الدهريينوالطبيعيين ينكرون وجود الآله وينكرون البعث وهذه الفكرة جاء بها الى مصر أعمى البصر والبصيرة بكتب من مؤلفات المجانين الذين يقولون بها الى أحدى جامعات مضر وقد اعتنقها وقال بها كل ضال زائغ عن الحق وفيه أستعداد قبول الشر لا غير من العجماوات الذين يقادون فينقادون ولا يفكرون فى شىء الا فى التمتع بملذات هذه الحياة كالبهائم من المادة التى يعيشون بها ولم يفكروا فى شىء مما هو وراء المادة التى يعيشون بها ولم يفكروا فى مما هو وراء المادة ولو فى نفسه التى بين جنبيه وروحه التى بها يحيا ويعيش وعقله الذى به يفهم ويفكر ، فالحق أن هؤلاء الوجوديين لا يعقلون فهم كالانعام بل هم أضل سبيلا · وما هم الا كأسلافهم الضالين المتخيلين (الظانين باللهظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) · ولقد قام افاضل علماء الازهر وجها بذاته بالرد عليهم حين بدأ السفهاء يتكلمون بها فأفعموهم وأفحموهم ، فهم لضيق صدرهم ووقوع الحرج فيه لايهتدون قال تعالى فى الرد عليهم وعلى كل الطوائف الزائغة عن الحق (ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) ·

« الله تعالى موجود ومطلع على عباده »

من المقرر عقلا ونقلا أن لايوجد شىء من لا شىء وهـذا الوجود العظيم موجود فلابد له من موجـد أعظم ضرورة وجود المشاهدة والمعاينة وعدم نفاذ أى اختيار للعبد لنفسه بنفسه فالقهر والغلبة دليل على وجود الغالب القاهر وقد قامت البراهين عقلية ونقلية على وجود الصـانع المبـدع جل وعلا كما سيأتى فى الباب الذى عقدناه لمعرفته تبارك وتعالى عن الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من المؤمنين الى يوم الدين ، وحيث كان تبارك وتعالى موجودا وخالقا فهو مطع على موجوداته ما دق منهم وصغر وما عظم منهم وكبر ينمى ويربى لهم ذرات أجسامهم تسبحه تعالى رغم أنوفهم لافتقارها اليه جل وعلا ٠ وأجمع على ذلك أفاضل الأمة سلفا وخلفا ٠ وهم يجزمون بها بعد معرفتهم له جل وعلا بأنه تبارك وتعالى مطلع على عباده راء لهم تعـالى رؤية انكشاف واحاطة وشمول اجمالا وتفصـيلا ومعنى اجمالا أى لكل فرد من الموجودات بهيئته وما تركب منها من الأجسام التى ترى لنا أنها كتلة واحدة متماسكة بقدرة من يقول للشىء كن فيكون ، وتفصيلا وهى جزئياتها وهى ما تركبت منه الاجماليات ، فهى مرئية له تبارك وتعالى كما قال (لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السـماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) وكما قال تعالى (بيده ملكوت كل شىء) والذرة أيا كانت صغيرة أو كبيرة شىء كما فى قوله تعالى (أ لا انه بكل شىء محيط) ومع هذا كله فهى آنية عند ربك بمعنى أنها كالشىء الواحد له تعـالى قال : تعالى (ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) أى لايعجزه شىء عن أدرك كل شىء واحاطته به وتربيته اياه وبلوغه كماله كما شاء فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، وهو الموجود فى كل الوجود ، وانما جعل سبحانه الحجاب علينا رأفه ورحمه بنا ،والا لما كان للدنيا وجود على هذه الحال ،

لانصرف العباد الى جمال الله وجلاله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام ٠

كذب وتضليل

قولهم أنا سلفيون كذب وتضليل يدعون أنهم يعملـون بعمل السلف الصالح فى الأقوال والأفعال وهذا هو الكذب بعينه والتضليل بنفسه على عباد الله البرآء السذج ٠ لأنهم لاسلف لهم الا فى المخالفين المعارضين للحق وأهلــه من المنافقين ، والخوارج ، والقدرية ، والحرورية ، وغيـرهم من طوائف الالحاد الذين كانوا لايســتطيعون أن يرفعوا بذلك رأسا ، لقوة الحق وأهلــه الى أن جاء الزمن بعـد سبعمائة سنة وصدع بهذه السلفية الرجل الذى قوبل وفيها من كل ذلة واهانة واحتقـــار من أهل الحق الى أن قضى نحبه فى السجن وظهر فى أتباعه من فيه استعداد القبول لهذا الشر وصار يدأب عليه تواليا الى الآن ، ويقولون انا سلفيون ليسمع منهم البرىء الخالى الذهن فيعتقـد أنهم على سلف الأمةالناجية الذين هم تبعوا الصحابة ومن تبعهم باحسان الى وقتنا هذا ٠ وهو سلف أهل الحق من عهـد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الى الأربعماية أو الخمسماوية سنة على تعرفيهم رضى الله تعـالى عنهم وخلفهم من هذا العهد الى ما بقيت الدنيا فى التابعين لهم باحسان ـ فهذا هو سلف الأمة الناجية عند ربهـــا تبـارك وتعالى ان شاء عز وجل ـ وهى التى على عقيدة واحـدة ودين واحد ومبدأ واحد ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يقل أحد منهم فى المتشابه بالتشكيك بل الكل على الحق ويجزمون به ـ فالسلف يقولون فى المتشابه بتفويض علمه الى الله عز وجل على ما هو عليه بدون تأويل فى معنـــاه ـ والخلف يقولون مع جزمهم بعقيدة السلف تأولا لائقا به خاليا من النقض ، وها هو فى صدر السلف الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه التابعى بالاجماع المأثورة عنه القولة المشهورة

الصحيحة المجمع عليها من سلف الأمة وخلفها وهى « اذا كان اللفظ يحتمل معنيين أحدهما يوجب محذورا وجب العدول عنه الى ماليس بمحذور» وخاصة اذا ما وضع فى جانب الحق عز وجل • هاهم سلف الأمة الناجية وخلفها •

وأما هم فيقولون بقولة أسلافهم الضالين بالتشكيك وخاصة فى الألفاظ الموضوعة بجانب الحق سبحانه وتعالى، يقولون ان له سبحانه وتعالى عينا ويدا ورجلا كما قال تعالى ، ولكن لانعلمها • فهذا على رأى العلامة القرطبى فى تفسيره يقولون بالنفى والاثبات للتشكيك فى الصفة الواحدة له • تعالى عن ذلك علوا كبيرا •

ومما يدهش توغلهم فى التضليل لعباد الله البرآء بقولهم انهم اهل السنة العاملون بها والقائمون عليها والمناصرون لها والداعون الى العمل بها وعليها ، فما يسمع مسكين منخدع الا يكون طوع ارادتهم منضما اليهم مبتغنا مبادئهم الخبيثة عاملا بها ظنا من هذا المسكين ان هذا هو الدين الصحيح ــ وخاصة اذا كان مامجورا على ذلك لتلك المبادىء الخاطئة كأسلافه السابقين له فى الدعوة ــ ومما لايخفى ان من أهم اعتناقها وضمه اليهم وجود الاستعداد فيه لقبول تلك المبادىء وبها يكون عنده الامر سواء وبها يكون قد خرج عن دائرة الذين يحبون الله ورسوله وآل بيته الطيبين المباركين الطاهرين ، الذين يعملون بامتثال لقول الصادق المصدوق ﷺ (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى) فهم حزب الله ورسوله •

وأغرب منه قولهم فى المخالف لاجماع المسلمين هذا هو الدين الصحيح والحق الذى يجب العمل به وهو الذى كان يعمله ﷺ وما عداه بدعة وضلالة وهو الذى لم يكن فى عهد النبى ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين

ولاغيرهم ، فهذه هى التمويهات والتضليلات على البسطاء والبرآء الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا ٠ فيوقعونهم فى دهشه وحيرة حتى يصبح الواحد منهم يقول كيف نصنع هذا الشيخ يقول كذا ؟ وهذ الشيخ يقول كذا ؟ فلا ندرى أى الفريقين أحق ؟

وخاصة اذا سأل هذا المسكين الحيران عالما ليس له القدم الراسخة فى العلم ، أو ممن هو فيه هذا الاستعداد للشر فيزيده ويزداد به ضلالا على ضلاله ، واذا حاولت مع أحدهم أن تفلت نظره للحق والصواب فلن تستطيع ٠ لأنه أشرب حب هذا الخلاف فى قلبه وخالطت جميع مداركه فلن ينظر غيرها ولايتكلم الا بها ـ أو لم ينظر هذا الضال ! الى ما عليه اجماع المسليمن القرون العديدة الطويلة ، وشذ هذا المفارق للجماعة بأمور مخالفة لما عليه اجماع المسلمين فى الزمن القريب العهد منه ويميز بين أهل الحق والباطل ويعتبر أن هذا الحكم الشرعى لم يجر العمل به وصار الاجماع عليه الا لأن له أصلا فى الدين لأن السواد الأعظم طوال هذه القرون العديدة لايستمر أمرهم على العمل بالمخالف ، وهم أقل واحد فيهم هو أفضل وأقرب الى الله تعالى من شيخه الذى شذ وفذ بهذه المخالفة ٠

ومن العجب العجاب أن شأن هؤلاء المخالفين أنهم يقرأون القرآن ولايفقهون له معنى أو لم يمر عليهم قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولم يعلق اصلاءه جهنم على المخالفة الا لأن اتباعهم أمر واجب على ما قرره الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ٠ وأيضا قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقد أجمع أفاضل الأمة على أن شهاداتهم على الناس ثابتة بالكتاب والسنة احقاق الحق لأهله والباطل لأهله فى الدنيا والآخرة وهو الاجماع بعينه لأن نسبة أحدهم لوالديه لم تثبت لهم الا بشهادة الناس وهذا هو الاجماع ، وكونهم شهداء فى الدنيا بدليل قوله ﷺ فى الحديث المروى عن البخارى فى باب الجنازة «وقد مر ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال وجبت يارسول الله . قال أما الأولى فأثنيتم عليها خيرا فوجبت لها الجنة وأما الثانية فأثنيتم عليها شرا فوجبت لها النار أنتم شهداء الله فى الأرض» هذا فى الدنيا - وأما الآخرة فحديث الشفاعة المروى عند البخارى أيضا قال فيه ﷺ «يؤتى بنوح وقومه وكل نبى فيقال هل بلغت» الحديث (من يهد الله فهو المهتدى) ومما تمجه الأنفس وتنفر منه الطباع السليمة قولهم فى المخالف لرأيهم أنه بدعة وضلاله ويزينون زخرف قولهم ويموهون به أن هذا هو الدين الصحيح الذى يجب العمل به كاستحداثهم فى الأذن بالألفاظ المقتضبة المقطومة المخالفة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قولهم هذا هو أذان بلال بعينه !! هل رآى أحد منهم أو سمع بلالا وهو يؤذن ؟ لا دليل لهم طبعا عليه الا وحى الشياطين اذ لا يوحون الا بالمخالف ، على أنه لايعقل أن الأذن وهو حكم شرعى تكون فيه المخالفة بهذا الحد النائى عن الحق والحقيقة لأنه حكم شرعى متواتر ثابت بالكتاب والسنة بألفاظه وهيآته ونغماته وترنيماته وأنه نداء بتعليم الله تعالى لعباده وبيان سيد العالمين لهم بأنه لا حد له فى النداء ومن أجمل الأدلة فى الترنيم به والتنغيم فيه اختيار حضرته ﷺ مؤذنيه الاربع من بين جمهور الصحابة أجمع ذوى الأصوات الحسنة وما ذاك الا للتغنى وحسن النغم والترنيم

وخاصة أن ذا الصوت الحسن يحب أن يظهر نعمة الله عليه بكل مافى وسعه منترنيم وتنغيم وقد بينا ذلك بيانا واضحا مجملا ومفصلا فى باب الأذان بأوسع تبيان ٠

ولكنهم لانحرافهم عن الحق لم يهتدا الى ذلك سبيلا ولم يظهر أمامهم ويلوح لهم الا كل مخالف فهم لاينطقون الا به ويعارضون به الحق وأهله ويضللون البراء السذج بقولهم هذا هو الدين الصحيح السليم وما كان عليه سيد العالمين والصحابة والتابعون وما عداه بدعة وضلالة ، كدعواهم فى كـل ما خالفـوا فيـه اجمـاع المسـلمين من اتخـاذهم المنبـر على ثـلاث درجـات لا غيـر ، وعدم المئذنه وعدم تجويف القبلة فى الحائط فى المسجد وكل ذلك قد فعله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكذا عدم الاذان الأول يوم الجمعة وقراءة سـورة الكهف فيهـا ولهم من المخالفة ما بيناه وسيأتى الرد عليه ٠ وأنت ترى مساجدهم التى أحدثوها مخالفة لما عليه أجماع المسـلمين كمسجد الضرار ـ لأنهم لم يفطنوا الى الأوضاع الالهيـة فى القرآن الكريم منأنه مافى حادثة تحدث فى مستقبل الزمان الا أصلا يجريه بين يدى حضرته ﷺ وينزل فى شأنها قرآنا يتلى فان لم تكن مساجدهم من مصداق قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) الآيات فأى المساجد ينطبق عليها هذا القول الكريم ؟ فأنت تعرف انهمنذ أننزلت هذه الآيات لم يظهر على وجه الارض مساجد مخالفة لمساجد المسلمين غير هذه المساجد فان لم يكن أمرهم هذا من مصداق الآية الكريمة فمن غيرهم أو لم ينظـروا أن علماء المسـلمين

مجمعون على هذا التواتر فى المساجد بهذا الوضع ؟

وقد قررنا فى غير ما موضع أن كل مخالف لاجماع المسلمين فى مسألة واحدة فلا تراه الا ضالا فى الجميع لايهتدى الى الصواب أبدا قال تعالى : (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

ومن أكبر ما تعرف به من فيهم يسمونهم بالعلماء وليسوا كذلك قولهم : ان الخلاف بين العلماء دائم مستمر قديما وحديَثا ، وذلك لجهله بعلماء الحق وعلماء الباطل ظنا منه أن كل من اشتهر ولو بالمخالف لأهل الحق فهو عالم يخالف العلماء بدون أن يميز بين أهل الحق والضلال اذ الحق واحد لاخلاف فيه بين أهله والضلال واحد بين أهله ولكن لشهرة القائل بالمخالف وما قال به الا ليعرف وما عرف بين الناس الا به ، ذلك لسنة الحق تبارك وتعالى فى عبادة ليميز كلا منهما بأقواله وأفعاله ، ولايعرف ذلك لا العالم المحقق الذى هو فى جانب أهل الحق فيرى ان أقوال وأفعال الضال قد جانب فيها الحق وأهله كل المجانبة وباعد عن الصواب كل البعد والجاهل والعلماء فيراه لظهوره وبروزه ولوبالمخالف أنه من العلماء فيظن جهلا بكل ذلك أن هذا عالم ويخالف العلماء فيقول الخلاف مستمر بين العلماء على الدوام، وكم رددنا على الكثير وفهمناهم أن العلم على مقتضى بيان الحق سبحانه وتعالى لعباده ينقسم الى قسمين حق ،وضلالة قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) فأهل الحق هم أهل الاهتداء قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وأهل الضلال قال تعالى (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

وقدقررنا أن الحق أبدا واحد اذ الحق من القضيتين المتقابلتين فى واحدة منهما ، ولايجوز أن يكون قضيتان متناقضتان

متقابلتان على شرائع التقابل الا ويتقاسمان الصدق والكذب فيكون الحق فى أحداهما دون الأخرى ، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى أصول المعقولات بأنهما محقان صادقان واذا كان الحق فى كل مسألة عقلية واحدا فالحق فى جميع المسائل يجب أن يكون المسائل يجب أن يكون مع واحدا ، وانما عرفنا ذلك بطريق السمع وهو ما أخبر به التنزيل الكريم فى قوله عز وجل (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) والسنة المطهرة من قوله ﷺ «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى قيل ومن الناجية قال أهل السنة والجماعة قيل وما السنة والجماعة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى» وقال ﷺ «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » وقال ﷺ «لاتزل طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة » قال ﷺ « لاتجتمع أمتى على الضلالة» .

على أن رأى جميع العقلاء من الأمة الاسلامية أن كل خلاف خارج عن اجماع عقلائها وهم علماؤها لاينظرون اليه ولايعولون عليه ولايلتفتون اليه ولا الى قائله حتى أشتهر عنهم قولهم .

وليس كل خلاف جاء معتبرا
الا خلاف له حظ من النظر

ومن تضليلاتهم قولهم أن الائمة الأربعة رضى الله تعالى عنهم هم مختلفون ، وذلك من جهلهم بأمور دينهم وتشريع الله تعالى لعباده على لسان حضرته ﷺ فى حكم الواحد عدة أمور وذلك للتخفيف والتيسير على عباده جل وعلا وقد يسر سبحانه وتعالى لكل واحد منهم طريقا لبيان حكم من أحكام البيان والتبين الشريف وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الآية وقد قرنا ذلك مرارا فى هذا الكتاب .

الفصل الرابع

فى الاجمال والتفصيل

لما كان شان العلماء أن يبينوا للناس ما أمر الله تعـــالى ببيانه اجمالا وتفصيلا كان لزاما علينا أن نبين شيئا من ذلك لعلنا نندرج فى سلك السالكين ورغبة وطمع الطامعين فى رحمة ورضوان رب العالمين ليستنير بذلك ذهن الراغبين ويدرج به فى معرفة أسرار رب العالمين ٠

فنقول غير جاف على ذوى العقول الراجحة والبصائر المتيقنة أنه ماعرف الاجمال الامن من التفصيل أو ماعرف التفصيل الا من الاجمال وهو خاص ببنى آدم الذين فضلهم الله على جميع مخلـوقاته ومـا كان مخلـوق فى الوجود الا لأجـــلهم وقد جعلهم سبحانه وتعالى محل نظره من خلقــه وجعل تفضيلهم بالعقل والتمييز والادراك وذلك بما خصهم تبارك وتعالى بالمزايا التى لم يخصص بها غيرهم من المخلـوقات وكان من تكوينهم الاستنارة بالعلم والمعرفة والاســتعداد التام الخــاص لذلك ، ولذا ترهام نزاعين دائما الى حب الاستطلاع وخاصة فيما غاب عنهم ٠

وجعل تبارك وتعالى الغرض من وجودهم معـرفته جل وعلا ، وهو أول واجب أوجبه عليهم ، وجعل معرفته تبارك وتعالى لهم متنوعة ، اما بالفطرة التى فطرهم عليها (فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ٠ واما بالدلائل التى خلقها تعالى لهم وبما فيها من جميع مستلزماتهم دنيا ودينا وأخرى ومن مهامهـــا أنه تعالى نصـبها دلائل على معرفته وذاك اما بالبراهين العقليــــة وأما بالبــراهين النقلية (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وجعـل سبحانه وتعالى فى تكوينهم الاستعداد لقبـول ذلك فمنهم

من يلهم الرشد لذلك الاستعداد ومنهم من يستنير بغيره من الموفقين ومنهم من لايقبل ذلك الا بالبيان وضرب الامثال حتى يوقن ، ومنهم من لايقبل لذلك صرفا ولا عدلا (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ثم لم يتركهم هملا على ذلك بل أرسل لهم رسلا يرشدونهم الى معرفته سبحانه وتعالى بكافة الطرق الموصلة الى معرفته عز وجل ، وبهذا كانت الحجة من الله تبارك وتعالى عليهم لزاما (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)وذلك بعد أن جعل تركيبهم فى التكوين مشتملا على كل مستلزماتهم من حيث العلم والادراك والاحساس والتمييز فى كل ما أوجد لهم (ومن كل شىء خلقنا زوجين) فكان من مهام معرفة الزوجين ، المتقابلان والمتماثلان ومنه عرفوا أن كل ما فى الوجود على المقابلة والمماثلة ، اذ بالمقابلة يحصل التضاد والتنافر ، وبالمماثلة يحصل التناسب والائتلاف ، فمن المقابلة فوق وتحت ويمين وشمال وخلف وأمام والليل والنهار واليقظة وما شاكل ذلك والمماثلة فى كل فردين بينهما مناسبة كالروح والنور وما فى كل متماثلين فى الخير أو الشر أو الشقاوة أو السعادة أو العز أو الذل أو الغنى أو الفقر .

ولما كان الانسان هو أكمل مبدع للحق سبحانه وتعالى : (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) وجعل تكوينه مشتملا على كل المبدعات له تبارك وتعالى داخله فيه فتظهر منه عند ارادة اللازم وهو المراد فى معنى المخلوق الاجمالى ، الذى أجمل تعالى فيه من كل مبدع له تبارك وتعالى ولفت نظر عباده العارفين منهم الى ذلك بقوله عز وجل (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فسبحان المبدع القادر المصور ، اذ جعل فيه النبات ، والجماد ، والحيوان ، والعالم العلوى والسفلى

ومن هنا صح قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله تعالى وجهة الذى قال فيه الصادق المصدوق ﷺ «أنا دار الحكمة وعلى بابها » رواه الترمذى عن على ولذا كان قوله الحكمة رضى الله تعالى عنه قال :

أتزعـــم أنك جـــرم صـــغير
وفيك انطـوى العـــالم الاكبـــر

ولهذا كان الانسان مراد الحق عز وجل من هذا الخلـق وبمضقتى حكمته العالية جعل تكوينه فى الادارك متنوعا منه ما هو عارف بالفطرة ومنه من يحتاج الى ارشاد وتبين ومنه من يقبل ذلك ومنه من لايقبل ولذا كانت دعوة الرسل لمن لايقبل كالاشهاد عليهم ، ولما كانوا كذلك كانوا هم أحق وأجدر بما ألزمهم به فيما أوجبه عليهم من معرفته جل وعلا المرادة له تبارك وتعالى فى قوله عز من قائل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وفى الحديث القدسى الذى قد رفعه العلماء من أشجار شتى «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى» ٠ وكانت تلك المعـرفة له تبارك وتعالى ، أما بطريق ما وصف به نفسه عز وجل من الرفعة والعلو عن جميع مكوناته والمراد بها رفعه المكانة ، لا رفعة المكان قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وقال تعالى (والله منوررائهم محيط) وقال تعالى (أولميكف بربك أنه على كل شىء شهيد ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شىء محيط) وقال تعالى (فســبحان الذى بيــده ملكوت كل شىء) وقال تعالى (ان الله على كل شىء قدير) وهكذا من الآيات المجملة فى الكتاب العزيز ٠

وأما التفصيل ففيه مادل على علوه تعالى ورفعته فــوق خلقه بالمكانة لا بالمكان كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) وقولـه

تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب) وقوله تعالى (ورافعك الى) وكقوله تعالى (أمنتم من فى السماء) وهكذا من الآيات التى تدل على علوه وعظمته وكبريائه تبارك وتعالى بما يفهم منها ذلك ذوو العقول الراجحة والقلوب النيرة ، والسنة المطهرة جاءت بمثل هذه الآيات .

ومنها ما يدل على مايقابل الفوقية وهى التحتية التى وضعت ليفهم منها ابن آدم أنها تقابل فوق فى المقابلة التى قدمنا كقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فسر ﷺ هذه الآية الكريمة بقوله الشريف (الأول الذى ليس قبله شىء والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء والباطن الذى ليس تحته شىء)وقد استدل ﷺ بهذه الآية فى الحديث المروى عند الترمذي الذى يرويه كل مفسر للقرآن لمناسبة قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثهلن) فى آخر سورة الطلاق وليس فى القرآن غيرها فى بيان الارضيين فبين ﷺ السموات السبع وما بين كل سماء وسماء وسمك كل سماء فى هذا الحديث ، وكذا الارضيون : سمك كل أرض كسمك كل سماء وبعد ما بين كل أرض وأرض كعبد ما بين كل سماء وسماء «خمسمائة عام» ثم قال ﷺ «والذى نفس محمد بيده لو تدليتم بحبل لوجدتم الله عز وجل» ثم قرأ هذه الآية (هو الأول والآخر) الى آخرها مستدلا بها على صدق قوله الشريف ،وفى الحديث المروى عند البخارى ومسلم وغيرهما «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد».

ومن التفصيل ما يستدل على المعية كقوله تعالى (يستخفون من الناس ولايستخفون من الله وهو معهم)

وكقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم ولا خمسة الا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولاأكثر الا هو معهم أين ما كانوا) وكقوله تعالى (ونحن أقرب اليـه من حبل الوريد) وقد سئل ﷺ : «هل الله بعيد فنناديه أم قريب فنناجيه فأنزل الله تعالى قوله (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) وفى الحديث المروى عند البخارى ومسلم وغيرهما «ما من عبد يقول يارب الا قال الرب له لبيك عبدى غير انكم لاتسمعون» ٠

ومن التفصيل العام الشامل فى جميع أمهات المكـونات له جل وعلا من عالم الملك والملكوت كقوله (وهو الذى فى السماء آله وفى الأرض آله وهو الحكيم العليم) وكقـــوله تعالى (وهو الله فى السـموات وفى الأرض يعـلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون) هذه الآيات التى أجمل الحق عز وجل فيها بيان معرفته تبارك وتعالى ثم فصلها تفصيلا على شرط ما فهمه عقلاء الأمة الاسلامية وبينوه لعباد الله تعالى لمن لم يرق الى حد معرفة ذلك فقالـوا انه تبـارك وتعالى لايعتقد أنه متصل بها أو منفصل عنها ، لأن الاتصال والانفصال من صفات الحوادث المخلوقين له تبارك وتعالى وقد قال الأفاضل فى معرفته جل وعلا ، كل ماخطر ببالك مالله بخلاف ذلك ، والبحث عن آثار الصـفات ادراك ، والبحث عن حقيقة الذات اشراك ، وهو تبارك وتعالى منزه عن كل ذلك تعالى علو كبيرا ٠

وما أجمل قول المتحقق فى معرفته تعالى فى كل ماوصف تعالى به نفسه فى معنى الاجمال : ان سأل عن أسمائه فقد قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى) وان سألت عن صـفاته فقد قال تعالى (قل هو الله أحـد) الى آخر السـورة وان سألت عن قواله فقدقال تعالى (انما قولنا لشىء اذا أردناه

أن نقول له كن فيكون) وان سألت عن أفعاله فقد قال تعالى (كل يوم هو فى شأن) وان سألت عن نعته فقد قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وان سألت عن ذاته فقد قال تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ٠

ومن معانى بيان التفصيل بعدالاجمال فى توحيده تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا آله الا الله) أى لامستعين عن كل ما سواه ومفتقر اليه جميع ماعداه الا الله ، ومن آى التفصيل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وقوله تعالى (اذا لذهب كل آله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) ٠

ومن آى اجمال الاسماء الاسم المفرد وهو على رأى البعض من الأجلة الاسم الأعظم (الله) وهو علم على الذات الأقدس الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد جل شأنه وتعالت عظمته سبحانه لانحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه سبحانه وتعالى عما يشركون ٠

وهو بالاجماع الاسم الجامع الذى هو مرجع جميع أسماء الذات والصفات والأفعال اليه فما من اسم منها له تعالى الا ويرجع معناه الى اللفظ الشريف (الله) وهو المنفرد أيضا بالتمييز عن جميع أسمائه جل وعلا بمعنى أنه اذا ذكر منه حرف واحد دل على الله تعالى سواء كان كحرف الألف (أ) فهى تدل على وحدانيته تبارك وتعالى وتشير الى أنه واحد لاثانى له وكانت من أكبر الدلالات فى النطق بها لمن جعلهم الله تعالى ينطقون من الأطفال بالفطرة كما أخبر تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) فاول نطق للطفل يقول (آ) وبعدها يقول (آب) أو (آم) وكذاك ينطق بها المتألم من غير ادراك لمعناها وهو لفظ (آ) وكذا ينطق بها المشجعى

واذا أشبعها نطق بآخرها (آه) وهو دلالة على الله تعالى ، واذا نطق بالهاء مجردة (هـ) يدل على أنه هو الله الذى لا آله الا هو واذا نطق منه بحرفين حرف من وسطه وحرف من آخره (له) ما فى السموات وما فى الارض ، أو ثلاثة أحرف منه حرف من أوله وحرف من وسطه وحرف من آخره دل على فظ (آله) . قال المحققون (الله) . أصله آله . فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ، ولذلك قيل يا الله بالقطع الا أنه يختص بالمعبود بالحق والاله فى الأصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق . واشتقاقه من ألة الآهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد ، ومنه تأله واستاله ، وقيل من أله اذا تحير لأن العقول تتحير فى معرفته ، أو من ألهت الى فلان أى سكنت اليه القلوب تطمئن بذكرة والأرواح تسكن لمعرفته ، أو من أله اذا فزع من أمر نزل به ، وألهه غيره أجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه ، أو من أله الفصيل اذا ولع بأمه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه فى الشدائد ، أو من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسر عليها استثقال الضمة فى وجوه ، وقيل أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وأرتفع لأنه تعالى محتجب عن ادراك الأبصار ومرتفع عن كل شىء مما لايليق به وقيل علم لذاته المخصوصة أهـ بيضاوى .

فقد عرفت أنه هو الاسم الذى امتاز عن جميع أسمائه تعالى بهذه المزايا فضلا عنأن جميع أسماء الذات والصفات والأفعال وما فيها من أسماء الجلال والجمال مرجعها الى هذا الاسم الشريف ، فكأنه هو الاسم الذى أجمل الله تعالى فيه جميع الأسماء ثم فصلها فى القرآن المجيد بعد تفصيلها فى جميع الكتب السماوية السابقة للقرآن اذ ورد ان لله عز

وجل الف أسم فصل منها فى التوارة ثلثمائة والزبور ثلثمائة والقرآن الكريم مائة ، أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلم أمته التسعة والتسعين اسما ثم أمره أن يعلم الاسم المكمل للمائة الخاصة من أمته كما أخبرنى شيخى رضى الله تعالى عنه عن شيخه ـ وهذا هو المنصوص عن الأشـــياخ ، ولكن كبرت وتعلمت وعرفت أن الأسماء لله عز وجل لاتتناهى كما أن ذاته سبحانه وتعالى لاتتناهى وكذا الصفات والافعـــال كذلك ٠

وانت تعرف أن جميع الأســـماء التى وردت فى غيـــر القرآن مرجعها الى ما فى القرآن وجميع ما فى القـــرآن مرجعه الى الاسم الشريف الجامع هكذا تكون الحكمة فى الاجمال والتفصيل للاسماء والله المعطى ٠

ومن الاجمال والتفصيل فى القرآن عـــلى ما ورد من أن جميع ما فى الكتب السماوية مع كثرتها أجملت فى القرآن الكريم ثم فصلت من لدن حكيم عليم وسيأتى بيان وتوضيح ذلك بأوسع مما هنا ان شاء الله تعالى اذلا يخفى عليـــك أن جميع ما فى الكتب السماوية مرجعه الى بيان ثلاثة اشياء توحيد الحق عز وجل ثم بيان أحكام المعاملة للناس مع الله تعالى ومع بعضهم لبعض ثم القصص وهو عظة الحاضرين بأحوال الماضين وهذا ما اشتمل عليه القرآن الكريم بصريح الحديث الشريف المروى فى بيانه صلى الله تعالى عليه وسلم (سورة الاخلاص تعادل ثلث القرآن) الحـــديث ولما كانت سورة الفاتحة تعادل القرآن فقد أجمل تبارك وتعالى جميع ما فى القرآن فيها ولما كان الغرض من القصص حمل الناس على التأسى بأحوال الصالحين المهتـــدين وكان من أهم أعمالهم معرفتهم لرب العالمين ، وكان بيان أحكام المعاملة لله والناس السير على أحسنها وفى ذلك كبير معـــرفتهم

لرب العـــالمين ايضـــا فكان مرجـــع الاثنين المعـــاملة والقصـــص الى الاول وهـــو معرفتـــه وتوحيـــده تبارك وتعـــالى وكان اجمـــال ذلك فى قوله تعـــالى (بسم الله الرحمن الرحيم) وكان مرجع ذلك الى البـاء من (بسم الله) معناها بى كان ما كان وبى يكون ما يكون على ما قرره المحققون ، وما أجمل قول بعضهم القرآن الكـريم مفتتح بالباء من بسم ومختتم بالســين من قوله تعـالى (والناس) فاذا ضممت أول القرآن وهى الباء الى آخـره وهى الســين فتنطبق بلفظ (بس) بمعنى حسب وحسـب بمعنى كفى (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) ٠

ومن الاجمال فى أبداع المكونات له تبارك وتعالى كمـا أخبر جل وعلا بأنه أبدعهـا من حقيقة واحدة وتسـمى بحقيقة الحقائق الأولية قال تعالى (وما خلقنا السـموات والارض وما بينهما الا بالحق) فالباء بمعنى من كما هـو صريح كلام العرب الذى نزل به القرآن الكريم قال تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظـونه من أمـر الله) أى بأمر الله وهذا هو الوضع العربى الذى لايفهم منـه الا هذا المعنى قال قائلهم :

شربن بمـاء البحـر ثم ترفعت
متى لجـج خضر لهن نئيـج

فالماء يشرب منه لابهوعلى هذايكون معنى ماخلقناالسموات والارض وما بينهما الا من الحق ، وتسمى بحقيقة الحقائق الكلية التى هى مصدر العبودية فهى أول عبد مخلوق لـه تبارك وتعالى اذ الوجود كله عبارة عن عبد ورب قال تعالى (ان كل من فى الســموات والارض الا آت الرحمن عبدا) والبديهى أن العبد حادث فمصدر العبودية حقيقة واحـدة على ما قدمنا ، يتجلى الحق تبارك وتعالى عليها فيبدع بها ومنها ما يشاء ، ومنها عرف التفصيل بعد الاجمال فى قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حى) وفى قوله تعـالى

(وكان عرشه على الماء) وفى قوله تعالى (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) وفى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) وفى قوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) ٠

وأجمل تبارك وتعالى فى الارض كل مبدع فيها من نبات وجماد وحيوان ، وماء وهواء ونار ، وهى الأصل فى الثلاث فالنار يتولد عنها الهواء والماء وما تخلفه من رماد وهو التراب فهذه هى العناصر الاربع قال تعالى (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وقال تعالى (ألم نجعل الارض كفاتا احياءا وأمواتا) ٠

ثم أجمل جل وعلا فى تكوين الانسان فى قوله تعالى (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) ثم فصل تبارك وتعالى فى قوله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا) وقال تعالى (وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) ٠

ثم أجمل سبحانه وتعالى فى أرساله الرسل لخلقه قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فالعلم أسم لما سوى الله تعالى فكان حضرته ﷺ الرحمة المهداة منه تعالى لجميع خلقه دنيا وأخرى علوية وسفلية وكان الرسل قبل حضرته ﷺ فى الظهور جميعا نوابا عن حضرته فى البلاغ قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا

معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) فكان ﷺ متنظرا لجميع الأمم قبل وجوده قال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال تعالى (وأقسمو بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا) وروى البخارى ومسلم من قوله الشريف ﷺ « أنا دعوة ابراهيم واخر من بشر بى عيسى بن مريم) ٠

ولايخفى عليك أنا قد قدمنا الكلام على أن رسول الرحمة واحد وهو حضرته ﷺ ، وقد جعل سبحانه وتعالى انبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام نوابا عن حضرته فى البلاغ اذ دعوة الجميع الى الله تعالى واحدة وهى مأموريتهم التى كلفهم تعالى القيام بها ، وجعل سبحانه وتعالى رسولا للشر أيضا واحدا يدعو اليه وهى مأموريته التى هو قائم بها لأنه سبحانه وتعالى هو الخالق للخير والشر - فكيف يجعل للخير رسلا ولايجعل للشر رسولا ، ولكن لما كان تكوين رسول الخير لايبقى مدة عمار الدنيا جعلهم رسلا تترى ، ولما كان تكوين رسول الشر يبقى مابقيت الدنيا جعله واحدا ونوابه ومساعدوه فى الدعوى الى الشر ضد الخير بقوة من جنسه ومن تبعهم من بنى آدم ٠

ثم فصل تبارك وتعالى فى ارسال حضرته لأهل الدعوة من الانس قال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون) وكان من أهل الدعوة والتكليف بها الجن فأرسل ﷺ لهم كما أرسل قبله اليهم الأنبياء والمرسلون قال تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء

يومكم هذا) وقال تعالى (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) ٠

ثم أجمل تبارك وتعالى فى مقام العارفين به بعد الأنبياء والرسل فى قوله تعالى (ومن يطلع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وفى مآلهم فى قوله تعالى (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) ثم فصل جل شأنه فى أوصاف المؤمنين بعد ان ذكر تعالى ماهم عليه من التوفيق الالهى بقوله جل وعلا (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) كما فصل تبارك وتعالى أحوال الكافرين وما هم عليه من المخالفة لأوامره جل شأنه بقوله تعالى (أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ٠

ثم فصل تبارك وتعالى ما هو مندرج تحت المؤمنين بقوله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم ألو الألباب) وقال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) كما فصل تبارك وتعالى من هو مندرج تحت الكافرين من المنافقين ومن هم على مبادئهم كالخوارج والملحدين والخارجين عن

اجماع المسلمين بقوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلـه) وقال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا) وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) وقال تعـالى(من الذين هادوا يحـرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسـمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين) الآية ٠

فأنت ترى المؤمن بالفطرة الربانية والرحمة الالهية بـه تعالى ، مطئمن البـال آمن السربال قرير العين مطمئن الخاطر مستريحا لما هو موفق له من العمل مصدقا بربه مؤمنا بآخر رسول وبجميع أنبيائه ورسله وهو بقضـائه وقدره حلوه ومره وباليوم الآخر مؤمن ايمان اطمئنان قال تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) وأما الكافر ومن على شاكلته مما قدمنا انفا فتراه حيران لا يهتدى الى الصواب ولايفكر الا فى كل مخالف معـارض لكلام الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، طاعنـا فى اجماع المسلمين محاربا لله تعالى ولرسوله قال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعله صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السـماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون) ٠

ومن أكبر مميزاتهم أنهم فى اعتقـادهم فى القـرآن الكريم كما وصفهم تبارك وتعالى فى قوله (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) اللهم انا نسألك العفو والعـافية من عقائد الزائفين ٠

ومن الاجمال فى أفضل ما يتقرب به المتقـربون اليه

تعالى ، تلاوة كتابه جل وعلا قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) وفى الحديث القدسى «من شغله تلاوة كلامى عن مسألته لأعطيته فوق ما يسأل السائلون» ولايعادل ثواب تلاوة القرآن فى الأجر الا الصلاة على رسول ﷺ ، حتى قال بعض العارفين ان القرآن يحبط أجره الرياء و أما الصلاة على رسول الله ﷺ فلا يحبطها رياء .

ثم فصل تبارك وتعالى أجر العاملين بعد ذلك فى أنواع ما يتقرب به اليه جل وعلا من صلاة وصدقة وذكر وجميع أنواع الطاعة له تعالى وجعل من مهامها الصلاة التى جمع سبحانه وتعالى فيها لهذه الأمة المكرمة بنبيها ﷺ جميع أنواع صلاة المصلين من بنى آدم قبلهم والجن والملائكة بل فيها التسبيح الذى جعل تكوين موجوداته مشتملا عليه قال تعالى وان من شىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ، من نبات وجماد وحيوان وطائر ودابة وهوام وحشرات وهواء وماء ونار وتراب ، بل من لايعتقد بوجود الاله فجميع ذرات جسمه تسبحه تبارك وتعالى رغم أنفه لافتقارها اليه جل وعلا وان كان هو لايعرف ذلك لسبق شقوته .

ومن اجمال ما بين سبحانه وتعالى فى الدلائل على معرفته عز وجل بآثار صفاته ماذكره سبحانه وتعالى من الآيات التى تدل على عظمته وكبريائه وعلوه وارتفاعه التى لايشاركه فيها غيره وكذا أيضا من الآيات التى تقابل ذلك مما يفهمها من قدمنا لك ولايتعقل الا بها كقوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فدلت هذه الآية الكريمة على احاطته تعالى بجميع الجهات

التى فهمها ابن آدم بالأربع كما أبان له تبارك وتعالى فى قوله تعالى (والله من ورائهم محيط) وفى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد الا انهم فى مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شىء محيط) وناهيك بالآية الجامعة فى البرهنة على قدرته سبحانه وتعالى كل شىء حتى الذارات قال تعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء) ومثل ذا فى الاجماع فى الدلالة على توحيده جل وعلا قال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) ومعناها لا مستغنى عن كل ماسواه ومفتقر اليه جميع ما عداه الا الله ، وهى الكلمة الحق والمعرفة الصدق حتى ألغز بها بعضهم فى قوله «من أول من شهد لله تعالى بالوحدانية» تقول : هو سبحانه شهد لنفسه بنفسه قال تعالى (شهد الله أنه لا آله الا هو) ٠

ومن الاجمال له جل وعلا فى الموجودات أنك تجد فى بعض أفرادها من المزايا ما هو مطوى ومندرج تحت مزايا البعض الاخر فى الجماد ، والنبات ، والحيوان ، وكذا النار والتراب والهواء والماء ٠

ومن هنا يتضح لك أن أفراد النوع الانسانى فى كل زمان محصورون بالعدد لافرق فيهم بين كامل وناقص ضرورة أن الناقص داخل فى الكامل اذ الكامل فيه ما فى الناقص وزيادة ، ومن هنا كان أكمل منه وهكذا الى أن ينتهى الكمال فى كل عصر الى كامل واحد الا يشاركه غيره وهذا مايسمى بالقطب الغوث قال تعالى (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وهذه الآية ترد بها على الخوارج الملحدين الذين يقولون مخلوق مثلك مثله والحق أن الله تبارك وتعالى لم يجعل فى خلقه أحدى ذرتين مثل الاخرى بصريح كلامه العزيز اذ لاضرورة للثانى ، والسنة المطهرة كذلك فاذا قابلنا أكمل هذا العصر مع من هو أكمل العصر

الذى قبله وجدنا إحدهما كذلك اكمل من الاخر ، وهكذا الى عصر النبوة فكانت النبوة اكمل اهل عصرها مع من فيها ممن هو دونه فى الكمال فاذا قابلنا جميع افراد الانبياء والمرسلين كذلك وجدنا ان احدهم أكمل من الآخر ضرورة ان الكامل داخل فى الاكمل الى ان ينتهى الكمال الى كامل واحد لايشاركه فيه غيره قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فهذه هى الأدلة العقلية المطابقة للادلة النقلية وهذه هى سنة الله تبارك وتعالى فى مكوناته فلا تجد فيها شيئاً يعادل الآخر من كل الوجوه بل لابد من التفاوت فى أشياء دون اشياء ، ومن هنا كانت معرفته سبحانه وتعالى فى خلقه وخاصة بنى آدم متفاوتة ومنها يفهم التفصيل بعد الاجمال أو الاجمال بعد التفصيل ٠

ومن الاجمال فى النبات أن الناقص فيه داخل فى الكامل أيضا وهكذا الى ان ينتهى الكمال فى النبات الى كامل واحد قال تعالى (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فمنها تعرف الاجمال فى الكامل منها والتفصيل فيما دونه والحيوان كذلك والجماد ، والماء ، والهواء ، والنار ، والتراب وكل موجود له تبارك وتعالى تجرى فيه هذه المسألة من الاجماع والتفصيل واقتصرنا على ما ذكرنا خشية الاطالة وهوا واضح فى الماء قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى) وهو واضح فى انتاج الموجودات وحياتها ٠

ومن الاجماع فى تشريعة تبارك وتعالى لعباده بعد معرفته جل وعلا ان لا يدعوا الوسائل فى كل شىء بحسبه من حاجياتهم الدينية والدنيوية والأخروية ، اذ جعل تبارك وتعالى لكل شىء وسيلة فلا يتأتى للعبد ادراك مطلوبة الا بالأخذ بها والتعويل عليها مع اعتقاده الجازم أنها لاتفعل بنفسها انما يفعل الله تبارك وتعالى بها قال تعالى (يأيها

الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقد بينا ذلك فى التوسل والوسيلة وسيأتى موضحا بأجلى تبيان وخاصة فى قوله تعالى (واسألوا الله من فضله) قال العـــلامة البيضاوى أى مما قربه اليكم وجعله بين أيديكم ، فرضـوان الله تعالى له وسيلة خاصة ، وادراك المعـــالى فى الدنيـا والآخرة له وسائل وفى نفس حياة الأشـــخاص والافـراد ووقايتها من كل مؤلم مؤذ وسائل خاصة وفى جميع أفراد الحاجيات لها وسائل ومن غيرها لايتأتى حصول شىء كما أرشد سبحانه وتعالى عباده الى ذلك حتى الآخرة والميراث فى الجنة لاينال الا بالوسائل وفى قوله تعالى (ادعـونى أستجب لكم) وفى الحديث الشريف «اذا سألت فاسأل الله» الحديث من أكبر الدلائل على اتخاذ الوسائل فى كل شىء بحسبه وقد بينا طرفا من ذلك وسيأتى بأوضح بيان ان شاء الله تعالى ٠

وقد قررنا كثيرا أن أول واجب على بنى الانسان معرفة الله تعالى وتشريعه لعباده ليفردوه جل وعلا فى الأقـوال والأفعال ويعرفوا أنه سبحانه وتعالى هو الفاعل المختـار كما ستعرفه ان شاء الله تعالى ٠

الفصل الخامس

دعوة الرسل الى الله واحدة

لايخفى على ذوى العقول الراجحة وذوىالايمان واليقين أن أهم ما أوجب الله تعالى على عباده وهو معرفته تبارك وتعالى بالقدر الممكن للبشر وقد لفت نظرهم اليه وأبان لهم تعالى أنهلايعول على شىء فى هذا الوجود الاعلى ذلك وقد عرفهم أن ذلك هو الغرض الوحيد والأمر السديد من هذا الوجود ، ولما كان الانسان هو المراد له تعـــالى من هذا الوجود وهو محل نظر الحق فى هذا الخلق بما أوجد فيـه

سبحانه من كافة الاستعدادات المرتبطة بكافة المستلزمات له وأوجد له تعالى كل الدلائل التى تدله على الله تبارك وتعالى وفوق ذلك كله أرسل له الرسل ليزيده نورا ويقينا لئلا يكون له حجة على الله أو يتسرب له دليل على المخالفة فى كل مبين فى التشريع الحكيم وخاصة معرفته عز وجل ولما كانت هذه الشرائع مشتملة على ثلاثة أقسام القصص ، والمعاملة ،ومنتهاها معرفته سبحانه وتعالى فقدم له الدلائل والبراهين مع الفطر التى فطره عليها وارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام له والتبشير والانذار ٠ومع هذا كله فان بنى آدم لم يقع منهم الخلاف الا فى هذا الأهم الذى ما كان وجودهم الا لأجله وهى معرفته سبحانه وتعالى ٠ ولكن لما كان وجودهم بمقتضى حكمته العالية على قسمين فريق منهم فى الجنة وفريق فى السعير ، وكان بمقتضى هذا الوجود الظاهرى لم يعلم هذا الا له جل وعلا ، ولذا جعل استعدادهم فى التكوين بحكمته العالية على قبول الحالتين الموصلتين الى هذا المآل ، وأبان لهم تبارك وتعالى على أيدى أنبيائه ورسله أن السامع منهم المطيع المنيب لأمره تعالى الواقف عند حدوده التى بينها لعباده غير متعد لها يبشر بحسن المآل ، والمخالف المعرض عن تلك الأوامر الالهية غير المبالى له اينذر بسوء المآل ولايعرف ذلك الا بنتائج هذه الأحوال والأعمال وان كان الأصل فى التكوين لبنى الانسان على النسيان كما قال العارف بذلك ٠

وما سمى الانسان الا لنسيه
ولا القلب الا أنه يتقلب

مقتبسا ذلك من قول المبدع جل وعلا (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى) فأبان سبحانه وتعالى أن الانسان خلق على النسيان ليقابله بكرمه بالغفران وما ذلك الا بعد بيان خطيئته له واعترافه بخطئه وغفلته عما أمر به ونسى ما

عهد اليه من التزام الأوامر قبل المخالفة كما قل تعالى (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وكانت المقابلة لذلك الاعتذار والأسف على ما نشأ من ذلك النسيان (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم) وكانت هذه هى الأصل فى عدم استعداده أن يكون من أولى العزم من الرسل ليعلم العقلاء أنه تبارك وتعالى يوجد من الفاضل الافضل قال تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) ولما كان الأمر عنده تبارك وتعالى أن للانبياء والرسل درجات وجعل أعلاها سبحانه وتعالى درجة أولى العزم من الرسل كما بين سبحانه بقوله لحبيبه ﷺ وأخذ بذلك فى محكم كتابه بقوله تعالى (فاصبركما صبر أولو العزم من الرسل) أولو العزم من الرسل هم من كان اختبارهم وتمحيصهم فى محن الدنيا أشد الخلق بلاء مع تحملهم وصبرهم على ذلك فنالوا بها أعلا درجة عند ربهم الكريم العظيم قال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) وبهذا نالوا درجة التجاء العباد اليهم فى شدة الموقف فى الآخر وهو له وان كان الناس يقصدون آدم أولا لظهور فضله لأول البشرية فيتنحى منها وعنها بما صدر منه من النسيان فيما أمر به ثم نوحا لتقدمه على الباقين فى الرسالة وسماه الله تعالى عبدا شكورا ولانشاء الخلق بعده منه فمن كان معه كما هو بيان حضرة من أسند سبحانه وتعالى اليه البيان والتبيين ﷺ الذى خص من الله تعالى أنه (لاينطق عن الهوى) كما هو صريح حديث البخارى الذى يرويه فى الشفاعة فيتنحى نوح عليه السلام كما صدر منه ثم يأتون ابراهيم عليه السلام لخلته فيتنحى أيضا لما صدر منه ، ثم يأتون موسى عليه السلام ، لتكليمه

ربه جل وعلا فيتنحى ويذكر ماصدر منه ، ثم يأتون عيسى عليه السلام فيتنحى ويذكر ماصدر من قومه ونسبتهم اليه الألوهية فيأتون حضرته ﷺ فيقول أنا لها أنا لها فيشفع فيشفع .

وهذا الحديث هو أكبر دلالة على الخارخين عن اجماع المسلمين الذين يضللون عباد الله تعالى البرآء بأن الأمور الغيبية التى منها شفاعة الشافعين لاتعلم لاحد ويستدلون لهم بقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ويضمون اليها قوله تعالى (ويومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) وقوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) الآية على أن هذاالحديث السابق يقطع ألسنتهم فى برهنتهم الكاذبة التى لايعقلون لها معنى لأن الله تبارك وتعالى أبان لعباده عز وجل على لسان حضرته ﷺ أنه أذن لحضرته فى الشفاعة العظمى بهذا الحديث السابق وفى الحديث المروى عند البخارى ومسلم وجميع أصحاب السنن والمسانيد ولفظه الشريف «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى من الأنبياء ، نصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الارض مسجدا وقربتها طهورا فأيما امرىء من أمتى أدركته الصلاة فليصلها ، وكان النبى يرسل لقومه خاصة وأرسلت للناس كافة ، وأعطيت الشفاعة العظمى» أليس هذا كافيا فى ردعهم وتبكيتهم لتضليلاتهم لعباد الله تعالى؟ وغيرهما كثير فى السنة من شفاعة الشافعين التى يشهد لها ويؤيدها ويقوى صحتها ما قص تبارك وتعالى علينا فى محكم التنزيل عن أحوال المجرمين بقوله تعالى(فما تنفعهم شفاعة الشافعين) التى مفادها أن هناك شفعاء يشفعون شفاعتهم وقوله تعالى (ولايشفعون الا لمن ارتضى) فهل غفلوا عن هذه الآيات والأحاديث أو لم

يقرأوا القرآن أو هم لطمس بصـــــائرهم لم يهتدوا الى معانيها ولمينظروا الا ماهو أمامهم من الضلالات والتضليل نسأل الله العفو والعافية ، أو هم لم يقصدوا الا الخروج عن اجماع المسلمين مكابرة ولكن لما كان الأمر عند ربك فى كل شىء لم يخرج عن حالتين الحق والضلال كما قال تعالى (فماذ بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون) وهؤلاء يدعون أنهم على الحق دون غيرهم ،وكل عاقل يعتقد أن الحق واحد لايتعدد ولاينقسم فلابد أن يكون فى جانب واحـد من المتعارضين المتخاصمين ضرورة عدم الانقســـام فيه والتعدد له فكيف بهؤلاء أهل الفرق والضـلالات الذين لم لم يجمعوا فى مسألة على ما هم متفرقون فيه ولم يتفقوا فى مسألة واحدة من الدين ، فهم مع كثرة فرقهم المخالفة لأهل الحق من قبيل قوله تعالى (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وقـــوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) فهم من مصداق الآيات ومن مصداق الحديث المروى عند البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة (افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة أمتىعلى ثلاث وسبعين فرقة) ورواه الأربعة عن أبى هريرة . لتعلم أن الخلاف بين الفرق قديم ، وأن كل هذه الفرق ضالة عن الحق ولا وزن لهم وان كانوا أكثر عددا كما قال تعالى (وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال تعـالى (ولكن أكثر الناس لايشكرون) وأهل الحق وان كانوا أقلاء فى العدد ولكنهم كثيرون فى الفضل والمدد ، والحق عنـد أهله واحد وهم من على قدم الأنبياء والرسل لايحيـــدون ولايتفرقون وعلى الحق وبه يعملون وأما أهل الضلال فهم

الفرق التى قد خرجت عن اجمــاع أهل الحق . ومن أهم خروجهم وعدولهم ومفاقتهم لأهل الحق خروجهم فى معرفة الله تعالى التى هى أهم ما أوجبه تعالى على عباده ، وذلك هو مرمى ومغزى وأهم مايدعو اليه الشيطان وتلك أمنيته التى طلبها وتمناها على الله تعالى بأن لايدع أحدا من بنى آدم الا ويغويه كما بينه تبارك وتعالى فى كتابه العزيز من قوله تعالى عز وجل (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) الآيات ، وذلك عام فى عموم بنى آدم الا من عصمه الله تعالى بالنبوة أو الرسالة أو التقوى والورع بالحفظ الالهى . وكان أول منشأ الخلاف فى معرفة الله تعالى من ذريـــة آدم الذين سكنوا الهند وقالوا الملائكـــة بنـــات الله . والجن أولاده وعارضوا «شيئا» وصى أبيهم آدم عليه السلام ثم ازدادوا فى الضلالات بدعوى النور فعبدوا الشمس والقمر ،وطوائف منهم عبدوا النار ، وطوائف أخرى عبدوا الجن ، قال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقال تعـــالى (وجعلــوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) الآية وهناك تفرقت وتشعبت وكثرت أنواع المعبـــودات حتى أوصلوها الى عبادة البهائم مع مختلف أنواعها الى زمن ادريس عليه السلام ، وكان اختلافهم فى المعبود جل وعلا وكثر شقاقهم فى التعريف به سبحانه وتعـــالى حتى جاء زمن نـــــوح عليـــــه الســـــلام فــــازدادوا فى شقاقهم على ما هو عليه فى التعرف بربهم ســـبحانه وتعالى بالطعن فى النبوة والرسالة فعارضوا نوحا عليـــه السلام وأخذ يدعوهم الى الله تعالى وهم يجحدون دعــوته زمنا طويلا فلم يهتــــد أحد منهم الى أن آل أمـــرهم الى

أهل الحق من زمن نوح عليه السلام وهود وصالح ولوط الطوفان كما قص تبارك وتعالى علينا ذلك (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعاملين) ولازال خلاف الناس كذلك فى معـــرفة الله تعالى والطعن فى الرسل وزادوا عليها عبادة الاصنام قال تعالى (قال نوح رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ،ومكروا مكرا كبار ، وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعـــوق ونسرا ، وقـــد أضلوا كثيرا) الآيات . واستمر أمرهم على ذلك بمعارضة وابراهيم وبنى ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وزمن موسى وعيسى عليهم السلام الى زمن سيد العالمين ﷺ فقد بلغ كل شىء منتهاه فى الضلالات وخاصة فى معرفة خـــالقهم مبدع الكائنات جل وعلا حتى تهكمـــوا على حضرته ﷺ بقولهم ماقص تبارك وتعالى علينا فى كتابه العزيز (أجعل الآلهة آلها واحدا ان هذا لشىء عجاب) وهكذا كان شأنهم فى معرفة الله تعالى يتلقاها كل ضال عن ضال وذلك من اغواء الشيطان وجنـــوده ضد أهل الحق من الأنبيـــاء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق أجمعين كما بينا هذا فى مواضع كثيرة .

ومن أهم مايرجوه ابليس اللعين منهم أن يجهلوا ويضلوا فى معرفة خالقهم جل وعلا حتى اذا ما ضـــلوا فى تلك المعرفة سهل اضلالهم فى كل مشرع للحق عز وجل فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ليصدق عليهم قوله تعالى (ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى) الآية ومن أهم اغوائه لحزبه أن يطمس عليهم ويضـــللهم فى أنواع الطرق والدلالات فالتى نصبها الحق جل وعلا على معرفته

تعالى فوق الفطرة التى فطرهم عليها وزادهم فيها بيانا وايضاحا بارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنذرهم بقوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)٠ ومن العجيب أن اللعين ماترك رسولا ولانبيا الا وقد عارضه باغواء اتباعه كما قص تبارك وتعالى علينا فى تسلية حضرته ﷺ لما تمنى ورجى أن لا يفلت أحد من الناس الا ويؤمن به فسلاه تبارك وتعالى بقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحقمن ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم) ٠ فالرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين جعلهم الله تعالى دعاة الى الخير الذى يحبه الله ويدعو عباده الى العمل به، وأهم ما بعثوا به ويدعون اليه هو معرفته تبارك وتعالى بآثار صفاته تعالى التى نصها جل وعلا دلائل على معرفته بما فى ذلك من أسرار أسمائه ومظاهر افعاله كما سنبين قريبا ان شاء الله تعالى ٠

دعوة الأنبياء والمرسلين لله رب العالمين واحدة

اعلم ان دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ما كانت الا على مبدأ واحد ودين واحدوشرعة واحدة وعقيدة واحدة وارشاد واحد لطريق واحد الى معاد واحد من لدن آدم عليه السلام الى سيد العالمين ﷺ بل الى يوم الدين كذلك فكان كل من على مبدأ جميع الأنبياء والمرسلين يسمون بالمؤمنين المسلمين اذ الايمان هو التصديق بالله تعالى وحده باطنا

وهو أحد المعانى التى ماترك سبحانه وتعالى شـــيئا من موجوداته الا وجعله على معنى وصورة فى الخارج المشاهد المعاين تدل عليه ، والاسلام هو الاستســـلام اليه تعـالى بالانقياد فى جيمع ما أمر به على يد هؤلاء المكرمين ظاهرا وهو صورة الايمان باطنا ـ ولا تعجب فانه تبارك وتعـالى قال (الذى خلق الموت والحياة) فالموت معنى من المعانى وله فى الخارج صورة تدل عليه وهى عدم الحركة فى جميع الحيوان ، والحياة معنى من المعانى ولها صورة فى الخارج تدل عليها وهى الحركة فى الحيوان • فكذلك الايمـــان صورته الاسلام • وقد عرفنا ذلك من الكتـاب العـــزيز المحفوظ بالعناية الربانية المسمى بالقرآن المجيد ، وقران بمعنى جمعان • كما هو الوضع العربى • بمعنى أنه جمع فيه سبحانه وتعالى ببديع قدرته وعظيم صنعتـــه ما فى الكتب المقدسة السماوية وزيادة وكما سماه تعالى أيضـا بالفرقان • أى الجامع للفرق بين الحق والضلال وأن كان جاء فيه ما يسمى المخالفون للمسـلمين المؤمنين بالأديان التى ذكرت فيه وهى خمسة باعتبار مسمياتهم على حسب اعتقادهم وهى كلها من مسميات الشيطان والهامه لحزبه ليقابل بكل واحد منها الدين الحق تشريع الحق سبحانه وتعالى لان دينه سبحانه وتعـــالى واحد هو فكيف يجعل لعباده أديانا ؟ فهى خمسة للشيطان • المجوسية والصـابئة واليهودية والنصرانية والمشركون عبد الأصـــنام على مـا ستعرفه • وأما دين الحق ســبحانه فهو واحد فقط وهـو الايمان والاسلام كما أقر به كل رسول ونبى وقومه فها هو سيدنا نوح عليه السلام •أول معارض فى الرسالة قال تعالى حاكيا لنا ما دار بينه وبين معارضية من قومه بقوله تعالى (فان توليتم فما سألتكم من أجران أجرى الا على الله وأرمت أن أكون من المسلمين)وها هو سيدنا هود عليه الســلام قال تعالى (ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذى آمنوا معـه

برحمة منا) الآية وسيدنا صالح عليه السلام قال تعـــالى (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه) الآية وها هو سيدنا لوط عليه السلام الذى جمع الله تعالى لنا في أمره الايمان والاسلام قال تعالى (فأخرجنـــا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وها هو أبو الأنبياء والمرسلين خليل الرحمن عليه السلام قال تعالى (وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الآية وقال تعالى (ووصى بهـا ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون أم كنتم شـهداء اذ حضر يعقـوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك له مســلمون واســماعيل واسـحاق آلها واحــدا ونحن له مسلمون) وها هو سيدنا يوسف عليه السلام يقول تعالى عنه (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويـل الأحاديث فاطر الســموات والأرض انت ولى فى الدنيـا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين) وها هو سيدنا شعيب عليه السلام يقول الله تعالى (ولما جاء أمرنا نجينـا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) الآية وها هو سـيدنا موسى عليه السلام يقول الله عز وجل حاكيا لنا تبارك وتعالى عن قوله لقومه مرة قال لهم بالايمان (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) المائدة . ومرة قال لهم بالاســلام (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلــوا ان كنتم مسلمين) يونس . وها هو سحرة فرعون الذين عارضـوا سيدنا موسى عليه السلام حكى الله تبارك وتعالى لنا عنهم لما خذلوا ورأوا آية الله المعجزة للبشر بقوله تعـالى (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعـون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكــر مكر تمـوه فى المدينــة لتخرجوا منها أهلها فسوف لأقطعن أيديكم وأرجلـكم من

خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) وكان الأمر سائدا عند جميع المخالفين للانبياء والمرسلين أن دين الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين الاسلام كما بين لنا سبحانه وتعالى ما صدر من فرعون لما أحدق به قال تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا أسرائيل وأنا من المسلمين) وها هو سيدنا سليمان عليه السلام قال الله تعالى لنا فى شأنه (ألا تعلوا على وأتونى مسلمين) وقال تعالى (قال يا أيها الملا أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) ٠ ولما كان دين أتباع الأنبياء والرسل الاسلام ومعلوم به عند العام والخاص قال تعالى (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وقال تعالى (قالت رب أنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وها هو سيدنا عيسى عليه السلام اذ قال الله تعالى (قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون) وقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) وها هو سيد العالمين ﷺ قال الله تعالى (قل أنى أمرت أن أكون أول من أسلم) وقال تعالى (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ثم بين سبحانه وتعالى لعباده أجمع بقوله تعالى (أن الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين) فبين سبحانه وتعالى لعباده جل وعلا أنه لم يشرع لهم دينا غير الاسلام ومن ينهج منهم على غيره فلن يقبل منه ولاينال رضوانه

تعالى الا من تمسك ببيانه وتبيانه وأصـــوله وفروعه قال تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنـــا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبـــرون) الآيات •

فها هو بيان الحق عز وجل لعباده الأنبياء والمرســـلين بيان واحد ودين واحد ولم يشذ أحد منهم عنه فى البيـــان والتبيين ولم يظهر لنا ان أحد منهم بين لاتبـــاعه فى دين الله مجوسية أو يهودية أو نصرانية ولابهائية ولاقاديانية • اللهم الا أن يكونوا من قبيل قوله تعالى (ولاتكـــونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) •

تعريف الأنبياء والمرسلين رب العالمين لعبادة المؤمنين

من أمعن فى النظر وتأمل بعين الفكر وجد أن حكمـــة الحكيم العليم لارشاد عباده عامة لما فيه مصالحهم الدنيية والدنيوية والأخروية لاسعادهم ولاطمئنان بالهم وصـــلاح حالهم الثلاثة التى أهمها معرفته سبحانه وتعالى وكان عليها أصل مدار الارشاد ولم يحد واحد منهم عنها وكان بيـــاتهم وارشادهم لعباد الله تعالى بآثار الصفات من بديع الكائنات وأسرار الأسماء سواء أكانت من أسماء الذات له تعالى أم الصفات أم الأفعال أم منها جميعا ، وفى قصة آدم عليـــه السلام أنه لما أحس خطيئته واعتذر قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وذلك بعد أن عاتبه سبحانه وتعالى هو وزوجته على المخالفة بقوله تعالى (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وأن

لم تغفر لنا وترحمان لنكونن من الخاسرين) وها هما ابنا آدم اللذان نذرا الله تعـــالى قال عز من قائل واتل عليهـم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين) الآيات وها هو أدريس عليه السلام وقد عارضـه قومه فى معرفة الله تعالى كما جاء فى بيان السنة المطهرة حتى كانت النهاية له قوله تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس انـه كان صديقا نبياو رفعناه مكانا عليا) وها هو نوح عليه السـلام أول من عورض فى الرسالة وفى معرفة الله تعالى قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين آن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وها هو هود عليـه السلام قال تعالى (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره ان أنتم مفترون ياقوم لا أسالكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلـــون وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولاتتولوا مجرمين قالوا ياهود ما جئتنا ببينه وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) وها هو صالح عليه السلام قال تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم أعبدوا الله مالكم من آله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب) وها هو لوط عليه السلام قال تعـــالى (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقـون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسالكم عليه من أجر أن أجرى الا على رب العالمين) الآيات وها هو سيدنا ابراهيم عليه السلام قال تعـــالى(ألم تر الى الذى حـاج

ابراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين) وكان قد أبتلى عليه السلام بالضالين مع كثرة معبوداتهم من الشمس والقمر والنجوم والأصنام ماقص تبارك وتعالى علينا من بيان ذلك وكان قد أكرمه الله تعالى بالحجج البالغة والبراهين القوية الساطعة التى امتدحها عز وجل بقوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم) فكان منها ماقال تعالى (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) وكم له عليه السلام من مثل هذه الأدلة التى أعجز بها قومه كما قال تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهةدون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون) هكذا كانت حججه عليه السلام المزودة بقوة الايمان واليقين. كيف لا وهو أب لجميع الأنبياء والمرسلين المكرمين الذين كانت حججهم فى معرفة رب العالمين واحدة متحدة وها هو سيدنا موسى عليه السلام الذى قال له فرعون ، ما رب العالمين يريد أن يصفه له بما يعتقد أنه جسم وفى السماء كما هى عقيدة الضالين

من عبدة الانواع الحادثة لهم فى الأرض مع اعتقادهم بأنه فى السماء وهو الآله الأكبر وهذه آلهه صغرى توصـــلهم عبادتهم لهم الى الآله الأكبر قال تعالى حاكيـــا عنهم (ما نعبدهم الا ليقـــربونا الى الله زلفى) قال تعـــالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقـــولن الله) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فالفرق الضالة فى الاسلام يعتقدون أنه جسم وفى السماء ولذا تراهم على عقيدة فرعون الذى هو على مبدأ ابليس اللعين وحـزبه وأول مقابلة لسيدنا موسى لفرعون تعطيك صورة عن ذلك قال تعالى (واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظـالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هـارون ٠ ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بأياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العـــالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليـدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ٠ ففـررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العـالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قا لربكم ورب آبائكم الأولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغـرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) هذه أجوبة سيدنا موسى عليه السلام لمن اعتقد غير عقيدة الانبياء والمرسـلين ومن على قدمهم وفيها ما فيها من البيان والارشاد لمن أراد أن يعرف الله تعالى بالقدر الممكن للبشر كما شرعه تعالى على يد من اختارهم من خلقه ليبينوا لعبادة أهم ما يجب عليهم وهى معرفته تبارك وتعالى التى ليس فيهـــا معنى الجســـمية

والمكانية من الفوقية والتحتية ولا الجوارح مما يعتقده معارضو أهل الحق من الانبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الخلق المؤمنين أجمعين ٠

وأعلم أنه ما أضل وأغوى عموم بنى آدم من الضالين المعارضين للانبياء والمرسلين ومن على قدمهم الا ابليس اللعين الذى أعطى على نفسه العهد والميثاق أن يضلهم ويغويهم أجمعين ومن نجا منهفى استغراق الغواية بالكفران الظاهر لمخالفة كل نبى مرسل جديد بعد النبى الأول فانه يوقعه فى غواية أخرى وهى التشقيق والتفريق فى كل ما شرع عن الانبياء والمرسلين ليبنى عليه كل مخالف ومعارض لهم لاستمرار الشقاق والتفرقة بين عباد الله أجمعين ٠ على أنه عارف بأن أهم ما يتطلبه الحق من عباده هى معرفته تبارك وتعالى فيحاول أن يضلهم باعتقادات مختلفات فى معرفته جل وعلا - فاذا ما فعلوا ذلك سهل عليه التشقيق التفريق فى كل ما شرع لهم ليحيدوا به عن الحق المراد له تبارك وتعالى الذى جاء به المشرعون من الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من عباد الله المؤمنين المخلصين ٠ ولذا كان هذا الشقاق وعدم الوفاق مستمرا بين عباد الله المؤمنين المخلصين ٠ ولذا كان هذا الشقاق وعدم الوفاق مستمراً بين عباد الله تعالى من عهد آدم عليه السلام الى يوم الدين وذلك لمقتضى الحكم الربانية العالية التى تعجز عنها مدارك الانسانية القاصرة قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين) الآية ٠

وكان الأمر كذلك لأجل التفويض له تعالى والتسليم اليه فى كل ما يصدر فى العوالم عند نتائجها واظهار غاياتها لأنه لا فاعل غيره جلت قدرته وتعالت عظمته ٠

وها هو سيد العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ

أجمعين ، أما انه سيد العالمين فمن المقرر عقلا ونقــلا ان جميع الموجودات للحق عز وجل هى عباد الله تعــالى قال تعالى (ان كل ما فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا) ولافرق فيهم بين فاضل ومفضل ومفضول وكان أفضلهم بنو آدم الذين جلعهم تعالى أفضل خلقه أجمعين لما خلق لهم كل شىء وسخر لهم كل شىء ، وكان أفضلهم رسله المكــرومون وكان أفضل الرسل منهم أولو العزم وكان أفضل أولى العزم سيد العالمين لأنه لو كان شىء أفضل منه لكان سيدا للعالمين وأما انه خاتم الأنبياء والمرسلين فمن المقرر عقلا ونقلا ان الله لم يترك عباده هملا من غير أنبياء ومرسلين أكثر من المدة التى كانت بين حضرته وسيدنا عيسى عليهما الصلاة وأفضل التسليم وها هو من زمن بعثته ﷺ الى وقتنا هذا لم يجىء أحد ادعى النبوة أو الرسالة مؤيدا بالمعجـزات التى كان يؤيد بها سبحانه وتعالى أنساءه ورسله الا أهل الدعاوى الكاذبة التى ليس لهم بها أى صلة لله رب العالمين من رؤساء الفرق الضالة والاحزاب الكاذبين من القاديانية والبهـائية والاسماعيلية وغيرهم .

فكان ﷺ كما وصفه ربه تبارك وتعالى لاينطق عن الهوى مع تولى الحق عز وجل عن حضرته فى الرد على كل سائل له ﷺ فى الزمن الذى بلغ فيه كل شىء منتهاه وخاصة فى الضلالة وكثرة معبوداتهم مع اختلاف أنواعها قال تعـالى (أجعل الآلهة آلها واحدا ان هذا لشىء عجاب) وقد قال ﷺ لسيدنا حصين والد سيدنا عمران بن حصين «كم كان لك من الآلهة ياحصين قبل الاسلام قال سبعة يا رسول الله قال أى آله فيهم كنت ترجوه لنفعك ولدفع ضرك قال آله السـماء قال مالك من آله غيره لا آله الا هو رب العرش العظيم» وقد سأل اليهود حضرته بقولهم صف لنا ربك يا محمـد فانزل الله عز وجل قوله (قل هو الله أحد الله الصمد) السورة ، ولم

يثبت فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة شىء فى تعريف الحق عز وجل لعباده بالقدر الممكن للبشر الا خاليـا عن مشابهة المخلوقات له تعالى ، وهذه هى عقيـدة الأنبيـاء والمرسلين قديما وحديثا حتى فى الامم السابقين كما بين لنا تبارك وتعالى ذلك فى كتابه المبين بان كل من كان مؤمنا بارسـول السـابق ثم يـأتى الرسـول الجـديد ويـؤمن به فهـو على قـدم المـؤمنين المسـلمين ومن كان مؤمنا بالرسول السابق ولم يؤمن بالرسول اللاحق فهو من القوم الكافرين لأنه خالف سنة الله تعالى فى خلقـه وكذب الرسول اللاحق فهو مكذب لله تعالى لأن سنته تبـارك وتعالى أن كل رسول كان يخبر عما يلحقه من الرسـول الآخر وخاصة سيد العالمين الذى ما من رسول ولانبى الا وأخبر أمته به وعنه . ومن هنا كانوا هم نوابا عن حضرته ﷺ فى البلاغ قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجـرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقـون) وقد بين ذلك ﷺ فى قوله «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل آمن بالنبى الذى قبلى ثم آمن بى ، ورجل يشـترى الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ثم يتزوجها ، وعبـد يؤدى حق مواليـه وحق الله وقـوله ﷺ لحكيم بن حـزام لما سأله « يارسول الله أرأيت أشياء كنت اتحنث بهـا فى الجاهلية فهل تنفعنى قال أسلمت على ما أسلفت» .

فيا أخا النصحية ويا أخا العقل والرشد هل رأيت خـلافا بين أهل الحق المجمعين عليه ؟ طبعا لا . وانما الخلاف من المعارضـين المخالفين لهم فالحق واحد وأهله مبـدؤهم وعقيدتهم واحـدة وأهل الضلال مبدؤهم واحد وعقيـدتهم واحدة ، والذوق السليم يفرق بين المبدأين لأن مبـدأ أهل

الحق فى معرفة الله تعالى على مبدأ الأنبيـــاء والمرسلين
فينزهونه تبارك وتعالى عن كل المماثلة والمشاركة ويثبتون
له تعالى كل كمال وهذا هو الاصل فى العقائد والتشريع وما
يفهم بعد ذلك فى فروع التشريع يكـــون على هذا المبـدأ
الصحيح السليم ومن آمن به وعمل على مبادئه يتدرج تحت
قوله تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم ألو الألباب) وأما
غيرهم من الذين يصفون الحق عز وجل بالأوصاف المشابهة
للحوادث ويوجبون له تعالى المكـان والزمان وصـفات
الحوادث الذين قال تعالى فيهم (وأما الذين فى قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فتراهم
على هذا المبدأ لايحيدون ولاهم عنه ينصرفون بل يتلمسون
له الأدلة الواهية الموافقة لأغراضهم وأنظارهم ويظنـــون
أنهم بها على الحق وبه يعملون، أفلا ينظرون الى معارضيهم
من أهل الحق ويتأملون فى أى ناحية هو واليه يجنحون وقد
قلنا مرارا ان أساس العقائد والاحكام الشرعية كلها أصولها
وفروعها هى معرفة الله تعالى اذ كل من عرفه ســبحانه
وتعالى منزها له عن هذه النقائض يفتح الله تعالى عليـه
فيفهم أسرار مكوناته فى خلقه ومن هنا يكون بعد معرفته
لله تعالى قد عرف كل شىء ومن جهل معرفته جل وعلا وضل
فيها فقد جهل وضل فى معرفة المكونات فلا تحكم عليه بعد
ذلك بأنه أهتدى ولو فى مسالة واحدة ولو وافق فيها أهل
الصواب فانها تكون منه رمية من غير رام أو يكون هو قـد
اعتقد أن هذا أمر عظيم جاء به من عندياته لمخالفته لاخوانه
وأهل حزبه ليفخر بها عليهم ظنا منه أنه جاءهم بالغـريب
عليهم أو يكون هو قد جاء بها لغرض فى نفسه يتوسل بها
الى حال يوحى به افى الضلال موهما لأهل الحق أنه وافق
الصواب ، وكيف يوافق الصواب الضال الذى سماه الحق عز
وجل أعمى البصيرة قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى

فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ولذا أخبر سبحانه وتعالى أنه فى الآخرة يكون عكس الدنيا أعمى البصر لا يشاهد به أحوال الآخرة من القيام من القبور الى المحشر قال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فمن أهم ماتعرف به الضال هو جهله وتخبطه فى معرفة الله تعالى وكذا معرفة من جعله الله تعالى سيدا للعالمين بوصفه له بمساواته به فى كل شىء فى البشرية ، وكيف يعرف قدر سيد العالمين بمميزاته ﷺ وخصائصه التى لم يشاركه فيها أحد حتى الأنبياء والمرسلون وكذا تخبطه فى آل بيت النبى الطيبين المكرمين واذا أردت أن تعرف الضال على حقيقته وتجزم بضلاله فزنه بميزان حب آل البيت الذين هم الأولياء الصالحون اذلا يوجد لله تعالى ولى على وجه الارض فمن يخرق الله تعالى على أيديهم العادات الا وهو من آل البيت الطيبين المباركين الطاهرين فهذ هو الميزان الذى تعرف به الضال الشقى من الصالح التقى المتهدى ، لأن حبهم هو علامة حب الله تعالى فى عباده الصالحين قال العلامة البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى همزيته :

كيف يهدى الاله منهم قلوبا

حشوها من حبيبه البغضاء

قال ﷺ «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى» الحديث روى البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ «من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا» . اللهم ارزقنا حبهم وأدم لنا ودهم وعطفهم واحشرنا معهم وأدم علينا رضوانك وحبك وعطف حبيبك ﷺ فى الدنيا والآخرة انك كريم جواد غفور رحيم . آمين .

الباب الثالث
فيما عليه أهل الحق

من معرفة رب العالمين سبحانه وتعالى بالقدر الممكن للبشر مما اجمع عليه عقلاء الأمة الاسلامية سلفا وخلفا بالدليل العقلى والنقلى ٠ وفيه فصول :

الفصل الاول
فى معرفة المتشابه

اعلم ، هدانى الله واياك لطاعته ، وفقنى واياك للعمل لمرضاته ، ونجانى واياك من الزيغ والضلال ، وأرشدنى واياك الى الحق والى طريق مستقيم ، أن المتشابه هو ما احتمل وجوها يشبه بعضها بعضا فهو من المشابهة والمشاكلة والمماثلة ثم اذا ردت الوجوه واحد ، وأبطل الباقى وتعين فيه المعنى المراد صار المتشابه محكما ٠

والمحكم هو الذى لايعتدى معناه لفظه ، بمعنى أنه لايقبل التأويل فهو الصريح ، فالمحكم أبدا أصل ، ترد اليه الفرع ، والمتشابه هو الفرع ، ومن هنا تعرف معنى قول الحق عز وجل (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ٠

علم الحق جل وعلا أن وجود أهل الخطاب والتكليف على حالتين ٠ فجعل بمقتضى حكمته العالية لهم والرشد على حالتين أيضا ـ فقال عز من قائل (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) وهو ميلهم الى غير الحق واعراضهم عنه وزيغ

قلوبهم فيه (فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله) أى مبتغو المتشابه لايخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك فى القرآن ، واضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة ، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته الزنادقة والقرامطة ، أو طلبا لاعتقاد ظواهر لمتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارى تعالى جسم مجسم ، وصورة مصورة ،ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وأصبع . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لاشك فى كفرهم ، اذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور . قاله الامام القرطبى فى الجزء الرابع صفحة ١٤ .

والمؤمنون حقا يقولون كما بين الحق حالهم (آمنا به كل من عند ربنا) . (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ،وأولئك هم أولوا الألباب)

هذا وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذى أمرنا بالايمان به والتصديق بما فيه على قسمين : محكم ، ومتشابه فقال عز من قائل (هوالذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه باتغاء الفتنة تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الألباب) قال العلامة القرطبى فى الجزء الرابع صفحة ١٧ : فقد روى عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عز وجل ، وأنهم داخلون فى علم المتشابه ، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به ، وقاله الربيع ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ، والقاسم بن محمد . ا هـ منه . هذا وقد عد العلماء الأفاضل من المتشابه فى القرآن قوله عز وجل (الرحمن على العرش استوى) (أأمنتم

من فى السماء) ٠(كل شىء هالك الا وجهه) (يد الله فوق أيديهم) (وجاء ربك والملك صفا صفا) وغير ذلك من الآيات التى ضرب الحق عز وجل بها الأمثال لعباده لتقريب المعانى للعقول البشرية مما تشبه صفات الحوادث ، ومن المتشابه من الأحاديث قوله ﷺ «ان الله كتب كتابه فهم عنده فوق العرش) الحديث ، و«ينزل ربنا الى سماء الدنيا» ، الحديث و«يضحك ربك من ثلاث» الحديث ، وحديث الجارية : «أين الله» ، وحديث الرقيا، «ربنا الله الذى فى السماء» الحديث ، و «يضع الحق قدمه فى النار فتنزوى» الحديث ، وهكذا من جميع الأحاديث التى هى من المتشابهوقد ضل فى فهم معناها الذين فى قلوبهم زيغ كما ضلو فى فهم الآيات المتشابهات ٠

واليك بيان آية من المتشابه مما عليه أجماع المسلمين سلفا وخلفا ٠ قال العلامة السبكى فى كتابه الدين الخالص طبع مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٦٧ هـ الطبعة الثانية صفحة ٢٣، ٢٤ قال : وقد اختلف العلماء سلفا وخلفا فى بيان معانى تلك الآيات والأحاديث ٠ فالسلف يفوضون علم معانيها اليه تعالى ، فيقولون : ان الاستواء فى آية (الرحمن على العرش استوى) لايعلمه الا الله سبحانه وتعالى مع جزمهم بأنه جل جلاله يستحيل عليه الاستقرار على العرش، أو اتصاله به ، أو جلوسه عليه ، لأنه تعالى آله ٠ قديم ، موصوف باستوائه على العرش ٠ قبل خلق العرش ، لأن القرآن الذى منه هذه الآية قديم ، موجود قبل ايجاد العرش فكيف يعقل أنه تعالى استقر على عرش غير موجود ؟ ولما خلق الخلق لم يحتج الى مكان يحل فيه ، بل هو غنى عنه ٠ فهو تعالى لم يزل بالصفة التى كان عليها ٠

والخلف:يقولون فيها : الاستواء معناه الاقتدار والتصرف

أو نحو ذلك ، فمذهب السلف أسلم ، لأنه يحتمل أن الله عز وجل أراد معنى فى الآية غير مافسرها به الخلف ، ووجه صحة مذهب الخلف أنهم فسروا الآية بما يدل عليه اللفظ العربى، والقرآن عربى وحملهم على هذا التفسير المذكور ، ولم يفوضوا ، كما فوض السلف ، وجود المشبهة والمجسمة فى زمانهم زاعمين أن ظاهر الآيات يدل على أنه تعالى جسم ، ولم يفقهوا أنه يستحيل عليه عز وجل الجسيمة والحلول فى الأمكنة ، وقد اغتر بعض العوام بقولهم فاعتقدوا أن الله تعالى جالس على العرش وحال فى السماء فكفروا والعياذ بالله تعالى ، والنفس أمارة بالسوء ، والشياطين تحسن لها ارتكاب ما تخلد به فى النار فوجب على الخلف أن يبينوا للعامة معنى الآيات والأحاديث المتشابهة ، حسن مدلولها فى القرآن والأحاديث المتشابهة ، حسن مدلولها فى القرآن والأحاديث النبوية ، بما يصح اتصاف الله تعالى به ، ليعرفوا الحق فيعملوا عليه ، ويتركوا الباطل وأهله فلا يكفروا ، فجزاهم الله تعالى خيرا الجزاء أ هـ منه .

هذا والحمد لله تعالى قد بينا الآيات المتشابهة فى نظرهم جميعا . وكذا الأحاديث الواردة فى السنة ، وبينا وجهة نظرهم وسبب ضلالهم بها وفيها ، ومن أين أخذوا هذا الضلال وساروا عليه ، وجعلوه عقيدة ثابته لهم ، وحكموا بها على جميع مخالفيهم بالكفر والاشراك ، وبينما لطلاب الحق المعانى المرادة منها وما عليه سلف الأمة الاسلامية وخلفها من أهل التحقيق ذوى القدم الراسخة فى العلم من الصحابة ومن تبعهم الى وقتنا هذ ، بأوضح بيان وأجلى تبيان ، وأصبح الحق فى هذا المقام واضحا وجليا ، لايخفى على من له أدنى مسكة عقل الا من أضله الله فلا هادى له ، فمثل هذا لاتراه دائما الا مخالفا لاجماع المسلمين وهم خيار الامة الذين أهلهم الله عز وجل للتبين لعباده ، ولم يتركوا

شيئا من البيان فى جميع الآيات والأحاديث المتشابهة رضى رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بأحسن رضى الله عنهم ورضوا عنه»«هوالذى بعثفىالاميين رسولامنهم يتلوعليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

حكمة وجود المتشابه فى القرآن والسنة

لايخفى على ذوى البصائر النيرة والعقول المثقفة ٠ أن الألفاظ الموضوعة للتخاطب والتفاهم ٠ منها ما يكون صريحا وجليا لايحتاج الى تأويل فى المعنى المراد منه ٠ ومنها ما يكون بخلاف ذلك ٠ وهو ما يحتمل عدة معان حتى لايقف السامع منه على المعنى المراد ٠ الا اذا رجع فيه الى المتكلم وعرف قصده من المعانى المرادة من هذا اللفظ المحتمل ٠ واذا كان المتكلم غير مرئى للسامع ٠ او ليس فيه استعداد للاستفسار منه فانه يكون لزاما عليه أن يذكر كل المعانى المحتملة الداخلة تحت هذا اللفظ المشتمل على تلك المعانى كلها ٠ وان كانت لاتتناهى الا فى عرف البشر ٠

فيا أخا العقل اذا كانت هذه الألفاظ الموضوعة للبشر التى عليها نظام المجتمع الانسانى وبها وعليها ارتباط واتحاد ووفاق المجتمع العمرانى ٠ أفلا يكون كلام الحق جل وعلا أعم وأشمل وأوسع ٠

وان نشأ فقل لما كان كلام الحق عز وجل منزلا من لدن حكيم عليم على وفاق ما عليه بنو البشر جاء الكلام المجيد والتنزيل الحميد موافقا لما هم عليه ومشيرا لما ألفوه ٠ وان كان الحق تبارك وتعالى جعل من سنته اختلاف العباد وتفاوتهم فى كلشىء حتى الفهموالادراك والتعقل والتمييز

وها هم العرب القرشيون الذين نزل القرآن بلغتهم كانوا على تفاوت فى معرفته وفهمه . وكذا فى بيانه الشريف ﷺ وقد بين الحق جل وعلا ذلك التفاوت فى الفهم والادراك فى قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فبين عز من قائل أن من الناس من يفهم بالاشارة ومنهم من لايفهم الا بالعبارة وهو البيان والتعبير الى حد ضرب الامثال . ومنهم من لاينفع معه البيان بسائر أساليبه وطرقه وهم أهل الجدال .فيحتاج لضرب من القمع والتنكيل ومن هنا شرع جهاد السيف .

وان شئت التمثيل لتفاهم الفهوم والادراكات . فعليك بما روى عن الصحابة من الأفهام المختلفة فى قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) .

ومن أحسن ماتذكره لك فى الفهم من طريق الاشارة . فهم الصديق أبو بكر رضى الله عنه انتقال الرسول ﷺ للرفيق الأعلى من قوله صلوات الله تعالى وسلامه عليه (ان الله خير عبدا من عباده بين الدنيا والاخرة فاختار ما عند الله) الحديث . ويكفينا هذا فى حكمه ذكر المتشابه فى القرآن . مع أنه انما أنزل لبيان الأحكام الشرعية . وارشاد العباد وهدايتهم لما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة لوجوه . منها ان القرآن نزل بلغة العرب . وكلامهم منه المجاز . والكناية والتلميح . وغيرها من المحسنات . ومنه الموجز الذى لا يخفى على سامعه ولايحتمل غير ظاهره . والمطول للايضاح والتوكيد . فأنزل الله القرآن على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله لو أرادوا معارضته بأى ضرب شاءوا . ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا: هلا أنزل بالضرب المستحسن عندنا . ومنها أن يستغل أهل الفكر والنظر برد

المتشابه الى المحكم فيتسع فكرهم ٠ ويهتموا بالبحث عن معانية فيثابوا على تعبهم ٠ ولو أنزل كله محكما لاستوى فى معرفته العالم والجاهل ولضعفت الفكر وخمدت الخواطر ولكن مع الغموض تقدح الفكرة ويجتهد فى استخراج المعانى ومنها اختبار عباده ليتميز الثابت على الحق ٠ويقف عند المتشابه ويرد الى علمه الله تعالى فيعظم ثوابه ٠ويتزلزل المنافق ويرتاب فيه ويزيغ عن الحق فيستحق بذلك العقوبة ومنها اشتمال القرآن على جميع مستحدثات الكون ٠ وكذا بيان رسوله ﷺ لصحة الرد اليه فى كل زمان وجيل ٠ (ولو ردوه الى الرسول ﷺ والى أولى الامر لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ٠

واعلم أيها القارىء الكريم أن الله تبارك وتعالى خلق بنى آدم وهم أهل التكليف على حالتين : منهم ما هو كامل بالقوة ومنهم من هو ناقص بالفعل ٠ فالكامل بالقوة من اذا عرض عليه أمر الحق عز وجل قبله وتصور الامر فيه وصدق المعنى المراد منه فيعمل بما فيه ويجزم أنه الحق المراد لله عز وجل فلا يحيد عنه ويبغى به بديلا وخاصة اذا كان سبقه فيه من شهد الله تعالى لهم بالعدالة والتوفيق وأجمع أهل عصرهم على خيريتهم بمقتضى بيانه الشريف ﷺ ٠

وعلى هذا يرقى به الى حد أهل الكمال بالفعل وهم من خلقهم الله تعالى بالفطرة على معرفته جل وعلا ٠ وبه يصبح من أهل المعرفة للحق والتحقيق ٠ وهى الغاية القصوى له فى حكمة ووجده وخلقه وتكوينه ٠

ومن لايقبل لذلك صرفا ولا عدلا ٠ أو يرتاب فيه ٠ أو يزيغ عن الحق المراد له جل وعلا وخاصة لمخالفته للاجماع السابق فانه يرد الى من خلقهم الله تعالى عن النقص بالفعل وهم الانعام قال تعالى (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما

تأكل الأنعام) أولئك كالأنعـام بل هم أضـل أولئك هم الغافلون) (ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسـوف يعملون) فكل من كان كذلك ولم يهتد ولم يوفق فقد رجع فى الانحطاط الى هذا الدرك الاسفل بالعناد وعدم الوفاق أعاذنا الله من ذلك ٠

الفصل الثانى

فيما عليه أهل الحق من خيار الامة فى معرفة البارى جل وعـلا

يجب علينا معشر المخاطبين قبل كل شىء أن نعرف الله تعالى ٠ اذ معرفته سبحانه وتعالى واجبة قبل معـرفة كل شىء ٠ حتى اذا ما عبدناه كنا عارفين بمعبمودنا ٠ وبتلك المعرفة تندفع شبه المجسمة له تعالى ٠ ومعتقدى الحـركة والسكون : والفوقية ٠ واتصافه تعالى بالجوارح والحلـول والاتصال والانفصال مما زعمته المشبهة له تعالى بصـفات الحوادث بعد قيام الدليل بأنه تعـالى (ليس كمثله شىء) وشبه القائلين بعدم وجـود آله كالدهـرية والطبيعيـة والوجودية وغيرهم ممن يعتقدون بألوهية الحيوانات والنار والأجرام من الكواكب والملائكة والانس والجن والاصـنام وغيرها ٠

فنقول ان معرفة الله تعالى حق المعرفة أى معرفته تعالى بحقيقة الذات والكنه غير ممكنة لأحد سواه تعـالى ٠ حتى الخضرة المحمدية الجامعة لعلوم العالمين السماوى والارضى المخصوصة بأرقى المعارف لالهية التى لايعرج اليهـا ملك مقرب أو صـديق محبب (أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه) الحديث ٠ قال تعالى : (ماقدروا الله حق قدره) (ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) (سبحان ربك رب العزة عمـا يصفون) وورد «ماعرفناك حق معرفتك سبحانك لانحصى

ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » - ومن كلام سيدنا علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه . كمال الاخلاص له تعالى نفى الصفات . وليس المراد من هذه القضية نفى الصفات عنه تعالى بل المراد أن ما صدق هذه الصفات هو ذاته تعالى فليس له صفة تزيد على ذاته الا فى الانتقال العقلى . اذن فذاته سبحانه وتعالى حقا هى الوجود . والوجود ذاته . اذ كل ما عداه باطل وهالك وعدم . واليك دليل العقل والنقل على استحالة معرفته بالحقيقة الذاتية والكنة . فالدليل العقلى يكفينا فيه أن نعرف أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كل موجود . ومن كان موجودا قبل كل موجود كان منزها عن الحد والجهة . وكانت له السعة الحقيقية . ضرورة ان الحد موجود لانه مفروض فصل بين شيئين . وما هو كذلك فهو موجود . وقد قلنا ان الله موجود قبل كل موجود . وأما عن الجهة فلانها يشار اليها بالاشارة الحسية فيقال هذه جهة فوق أو جهة الشرق مثلا . وتقصد بالحركة اليها . وكلما يشار اليه بالاشارة الحسية ويقصد بالحركة اليه فهو موجود . وقد قلنا ان الله موجود قبل كل موجود . فاذن لايسعنا الا أن نقول ان الله تعالى واسع سعة حقيقية . يعنى غير متناه بالذات . ومن كان كذلك وجب أن يكون واحدا . لأنه لايتناهى ولايزاحم ولايكرر . هذا الدليل العقلى الذى لايمكن لبشر نقضه . هو مستفاد من الدليل النقلى . قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) فسر صلوات الله تعالى عليه وسلامه . الأول ليس قبله شىء . والآخر الذى ليس بعده شىء . وهما يفيدان معنى التنزيه عن الحد . أى الاول والآخر ليس له حد لأوله ولا لآخره . والظاهر : أى الذى ليس فوقه شىء . والباطن : الذى ليس تحته شىء وهما يفيدان تنزيهه تعالى عن الجهة . أى ليس له نهاية لجهة فوق أو لجهة تحت . فى المقابلات العقلية البشرية . ومن كان كذلك أى لا أول لوجوده

ولا آخــر لوجـوده ولاظـــاهر فوقـــه ، ولا باطن تحتـــه وهـــو محيط بكـــل شيء . فهـــو الوجود . والوجود ذاته . ومن كان كذلك كانت له السعة الحقيقية (ان الله واسع عليم) يعنى أنه تعالى غير متناه بالذات . فقل للضال فى معرفة ربه أين المكان الذى معه مشارك له فى الوجود فيمكث فيه أو يتحرك بالانتقال منـه أو اليه بعد بيان الحق عز وجل فى كتابه العزيز . وسنة نبيه الكريم . والا لما أطلق عليه تعالى انه (غنى عن العالمين) . ولايكون غنيا حقا الا اذا كان مرجع الكل اليه . بمعنى أن ذاته تعالى مستوعبه لجميع الذوات ولو قال ضال مقتضى كون الله معنا وانه فى كل مكان محيط بكل الوجود ان يكون مرئيا لنا مع أنا لا نراه ولانحس تلك المعية .

قلنا له انك أعمى البصر والبصـــيرة لأنك تؤمن بأن الله تعالى خلقا على وجه الارض معك وهم مخاطبون بفـــروع الشريعة وهم الجن هل رأيت أحدهم ؟ وتؤمن أيضا بأن الله تعالى خلقا وهم بلصقك وملازمـــوك على الدوام وهم الملائكة من حفظة وكتبة . هل رايت احدا منهم ؟ فاذا حنت عميت بالبصر والبصيرة عن مخلوق موجود معك فهل ترى الخالق جل وعلا ؟ وايضا لواعتبرت ان ذاتك هى الوجود كله . ولايخفى عليك ان هذه الذات مركبة من حالتين مادية وروحية . والروح كما نعلم هى مستوعبة لجميع تلك الذات التى اعتبرنا أنها الوجود كله . فهل الروح فوق الدماغ أى المرأس حتى تقابل بها فوق العرش؟أوهى فى الرأس والصدر فقط ولم تنزل الى الامعاء القذرة والمخرجين المتنجسـين واستقرارها فى الصدر والرأس فقط تقابل بها السـموات فماذا تقول أيها الرائى فى ربك ولم تنظر الى نفسك حيث أمرك تبارك وتعالى بقوله (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) .

وان جاء فى عقله عدم وجود الحق عز وجل فى كل مكان

ترفعا له تعالى عن الحشائش والمراحيض والنار كما قال الضال الاول . ونسج على منواله الضالون الى وقتنا هذا فى كتبهم ومؤلفاتهم فلن يحيد واحد منهم عن هذا المبدأ .

نقول له : لو اعتبرت تنجيس روحك باستيعابها الامعاء والمخرجين لكان الأمر كما تقول . ولو اعتبرت تجرد روحك وانفصالها ومباينتها للحرارة التى فى جسمك لجاز ذلك على الله تعالى كما تقول ، وكيف تصل فى قول الموحدين : قيوم السموات والأرض . ولايخفى ما فيها من الحرارة النارية والكهربائية التى لاتنفك عن السموات والارض ولا صلاح لهما بدونها . فهل تمنع قيام الله تعالى بتلك الاجزاء النارية مخافة ان يحترق كما تقول بعدم وجوده فى الارض مخافة التلوث بالنجاسات ، فاذا أنت تنكر قيوم السموات والارض مخافة النار والنجاسة وهل تدرى كافرا أشد كفرا ممن ينكر وجود قيوم السموات والارض مع اتصافه تعالى بالصفات الكمالية القائمة بذاته تعالى على التحقيق . ثم كيف تقول بصفة الرحمة ولاتقول بصفة الغضب أيها الرائى ما هذا الا مبدأ أبليس اللعين الذى أعترض بهعلى الله تعالى قديما . أنت تأكل الطعام والشراب باردا . فمن أين النار فى جسمك التى تتحول بها المأكولات من قالب ان أمرك لعجيب .

نرجع ونقول له فيما يستدل به على عمى بصره وبصيرته وتعويله على الظاهر المشاهد فى الامور كلها للمرئيات لهم ، هل تؤمن بأن اللبن الذى هو نازل من الثدى هو خال من الزبد ؟ فلا يسعه الا أن يقول : الزبد فيه . فنقول وهل تراه ؟ طبعا كلا . وأيضا الحبوب والبقول والخضر والفاكهة هل تنكر أن فيها دهنا منه غذاء جسمك وقوامه ؟ طبعا لا . فهل رأيت الدهن فى شىء منها ؟ طبعا لا . وأيضا هل ترى

الهواء الذى أنت تعيش به وبه قوام صحتك وحياتك ؟ طبعا لا ٠ فاذا كنت لاترى هذه المخلوقات للحق جل وعلا فهل تريد رؤيته فى كل مكان حتى تؤمن به ؟وتكون مع المؤمنين الناجين القائلين بوجوده تبارك وتعالى فى كل مكان وزمان وبه وجود المكان والزمان ٠ وما هما الا من خصائص الموجودات ولاتعرف الموجودات الا بهما ٠ وخاصة أرتباط بعضها ببعض بالرقائق التى اقتضتها الحكمة وحسن الاختيار ٠ فتبارك الله أحسن الخالقين ٠

على أن الآدميين خلقوا من المادة وبها وفيها يعيشون وهم بها محجوبون عن ادراك الموجودات من الروحانيات، واللطائف الربانيات المخلوقة له جل وعلا فى مكوناته ولم يكمل تكوينها الا بذلك ولم تحصل الفائدة الا بما فيه مما لم يشاهد ٠ وهل يفكر فى رؤية ربه من هو محجوب بالمادة التى بهاوفيها يعيش ـ ولم يرفى هذا الوجود غير المرئيات من المخلوقات مثله وقد أمره تعالى ان يؤمن بما لم يره فى كتابه العزيز من الملائكة والجن والروح والحفظة والكرام الكاتبين وهو لم يرهم وهم خلق مثله فبالاجدر ان يؤمن بخالقهم حيث أمر وان لم يره ٠

اللهم الا ان يكون ممن خلقهم الله تعالى على الفطرة والتكوين الخاص الالهى من عباده الذين يجبلهم على معرفته تعالى من حين التكوين ٠ فمثل هؤلاء لايحجبون عن ادراك اللطائف الربانية من العوالم الروحانية ٠ ولا يخفى عليك القادر المنوع فى التكوين للموجودات لم يجعل هؤلاء على حالة واحدة ٠

بل منهم من لايشاهد الا العوالم السفلية من الجماد والنبات والحيوان ٠ فتجده دائما مستغرقا فى مشاهدة آثار صفات الحق جل وعلا فيها من التغيرات والانتقالات والتصورات والادركات من الحركات والسكنات فى الامور المتقابلات والمتضادات ٠

ومنهم من يشاهد هذه وهى عنــده بديهــة ضرورية ٠ ولايستغرق الا فى مشاهدة العوالم الملكوتية وما فيهـا من الاجرام الفلكية ٠ وما أحيطت به من العجــائب الربانية وخاصة الانواع المتنوعة من الملائكة الروحانية وغير ذلك من العجائب الالهية ٠

ومنهم من عنده هذه وهذه بديهية ضرورية وما هو الا فى مشاهدة المقام الأسمى ، والقرب الأعلى ، والدنو الأجلى ، وهو مشاهدة جمال وجلال الحق جل وعلا ٠ وهنا اللــذة الكبرى التى ليست بعدها لذة ، وهذه هى الحظــوة التى ليست بعدها خطوة ، وهى غاية الغايات ، وأقصى وأعلى الدرجات ٠

ومن هنا تعلم أن مقام القرب ، والجــذب ليس بالجد والاجتهاد ٠ ولايحظى به كل مخلوق بل هو بمحض فضل الله وكرمه (يختص برحمته من يشــاء والله ذو الفضــل العظيم) ولاينكر ذلك الا كل من قصر عقله عن ادراكــه ، وقعد به الكسل والانحطاط عن البحث فى حقائق الدين من الكتاب المبين وبيان سيد المرسلين الذى فيه بيان كل ذلك ٠ فان قال قائل ممن طمس الله بصيرتهم ٠كيف يكون حال هذا المستغرق المشاهد عند قضاء الحاجة مثلا ٠ ومع النســاء٠ والاكل والشراب ٠ اين تكون تلك الحــالة ؟ وهو متلبس باحدى هذه الاحوال ؟ ٠

نقول له : ان الذى ذكرت من الاحوال البشرية وجريانها على الماخوذ ، المجذوب ، المشاهد ما هى الا كالطبيعــة البشرية فى تنقل الافكار فى الاذهان وتقلبهــا من حالة الى حالة ٠

أفهل تنقل وتقلب الأفكار للشخص مخرجة له عن طبعــه البشرى وحالته التى هو بها مع من يراه ٠

وان تشا فقل ما هى الا كحالة النوم للنــائم فلو شــغله

القرب والجذب والأخذ بالحب فى الآخذ الجاذب عن النوم لخرج بهعن الطبع البشرى والتكوين الآدمى وليس كذلكولا قائل به : قال ﷺ فى الحديث الصحيح المشهور فى المواصلة فى الصوم «لست كأحـــدكم انمــا أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى» ٠

هذا ولايخفى بل لايلتبس عليك ٠ ان سـيد العالمين ﷺ كان أكبر المشاهدين ، وأعلى درجات المستغرقين ، بل منه وعنه يؤخذ ذلك ٠وما هو الا مستفاد من حضرته ﷺولاتنس حديث «أنسيت أم قصرت الصلاة؟» وصدر الرواية «قام الى خشبة معروضة بالمسجد كالغضبان» ولاتنس قوله الشريف «لم أنس ولكن أنسى لأسن» ولايخفى عليك قـوله الشريف «أحق ما يقول ذو اليدين ؟» والسنة ملاى بمثل هذا ٠ وكذا اخوانه الأنبياء والمرسلون ٠ ولاتنس ما ثبت فى الصـحيح مما صدر عن سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم حين سأله جبريل عليه السلام٠وهو مقذوف فى النار ٠ وقال له : هل لك حاجة ؟ فقال منك ! قال : من الله ٠ فقال : علمه بحالى يغنى عن سؤالى ٠ وهكذا كل من كان فى هذه الأمة على قدم سيد العالمين فلا يشاهد الافعال فى الحقيقة الا من الله تعالى ٠ وهاك الصـــديق رضى الله تعالى عنه ٠ وقد سئل فى مرضه ٠ فقيل له : هل دعـوت الطبيب ؟ قال : نعم ٠ فقيل له ٠ ما قال لك ؟ قال : قال لى انى فعال لما أريد ٠ وها هو عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه وقصة الجبل ٠٠ يا سارية الجبل ٠٠ المشـــهورة يقول الرواى عنه بينما يخطب الناس على المنبر ٠ وقد تغيـــر وخرج عن حالته الطبيعية ٠ وقال مقالته المشهورة ٠ راجع حلية الأولياء لأبى نعيم ترى العجب العجيب (ســـنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ٠

الله علم على الذات الاقدس جل وعلا

قد أجمع عقلاء الأمة الاسلامية سلفا وخلفا على أن الاسم الشريف «الله تعـــالى» علم على الذات الأقدس . الواجب الوجود . المستحق لجميع المحامد . كما هو مقرر فى محله على سبيل علمية الشخص على التحقيق . وان كان لايجوز أن يقال ذلك الا فى مقام التعليم .

وهذا الاسم الشريف أشرف أسمائه تعالى بناء على ما هو المختار . قال تعالى (هل تعلم له سميا) (وكلمـــة الله هى العليا) قال أهل التحقيق هى لفظ الجلالة . ولانطيل الكلام فى المشهور . وكفى أنه أخص أسمائه تعالى وكلها بالنسبة اليه صفات له تعالى وقد أرشد سبحانه وتعالى عباده أهل الخطاب بالشريعة الى معرفة صفاته تعالى تفصيلا واجمالا لكى يعرفه كلٌ بقدر استعداد . وقد عرفَ تعـالى نفسـه بالصفاتَ لما سألوه ﷺ بقولهم : صفَ لنا ربكَ يا محمد فقالَ تعالى (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) وقال تعـــالى (الله الذى أحسن كل شىء خلقه . وبدأ خلق الانسان من طين) (هل من خالق غير الله) (قلْ الله أذن لكم أم على الله تفترون) (لتعلموا ان الله على كلِّ شىء قدير وان الله قد أحاط بكلِّ شىء علما) (ان الله لغنى عن العالمين) (لاتدركه الابصار وهو يدركُ الابصار وهو اللطيفُ الخبير) ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وهكذا من الآياتَ التى بينَ فيها سبحانهَ وتعالى صـــفاتَ الذات ، والصفات النفسية ، وصفات المعانى ، والصـفات المعنوية ، وصفات الافعالَ . وهكذا حتى لقد اشـتملَ ثلثَ القرآن على آى التوحيد خاصة مفصلا ومجملا . والمجملَ الذى جمع فيه المفصلَ كقوله تعالىَ (والهكم آله واحد لاَ آلهَ الا هو الرحمن الرحيم) (الله لا آله الا هو الحى القيـوم لا تأخذه سنةِ ولانوم) الآية . (الله لاَ آلهَ الاَّ هو الحى القيوم

نزل عليك الكتاب بالحق) ومن عظيم حكمته جل وعلا أن جمع جميع المفصل والمجمل فى كلمة واحدة التى بدأ بها تبارك وتعالى بشهادته لنفسه بنفسه (شهد الله أنه لا آله الا هو) واختتم بها جميع ما أجمل فى قوله تعالى (فاعلم أنه لا آله الا الله) ٠

فمن هنا تعرف أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى شرع ذلك لعباده أجمالا وتفصيلا وأرشدهم الى النظر فى ذلك ٠ ولذا وجه رغبات الكثير ممن أهلهم لادراك ذلك من جهابذة الأمة وخيارها فرأوا أن الأمر بالتوحيد حكم شرعى والزام الهى على عباده يعملوا على تفهمه وتدوينه وتسميته «علم التوحيد» الذى هو الغاية القصوى من هذا الوجود وردوا فيه شبه المارقين ، وأبطلوا فيه عقائد الضالين والزائفين،ببراهين يقينية عقلية مستفادة من الأدلة النقلية بعد أن تحققوا من أن تقديم الأم فى قوله تعالى (فاعلم أنه لا آله الا الله)ايذان بمزيد شرف التوحيد فانه أساس الطاعات ونبراس العبادات ٠ ومن هنا تعرف شرف علم التوحيد ، وأمر الحق عز وجل به عباده ، والزامهم القيام بتبينه ومعرفته ٠

وقد قدمنا لك أن الوهابية ومن على مبادئهم وشاكلتهم من القاديانية والبهائية والاسماعيلية واليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرهم ينكرونه ويذمون الاشتغال به تلك الفرق التى تضاد أهل الحق (فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) ٠

لا اله الا الله

اعلم أن «الله» الذى لا اله الا هو بمعنى الاله ٠ والاله هو الذى يوله له ، ويرجع اليه فى كل شىء ٠ فيكون معنى الاله بحق هو المستغنى عن كل ماسواه ، المفتقر اليه كل ماعداه ٠

واذا كان معنى الاله ماذكــر كان معنى • لا اله الا الله • لامستغنى عن كل ما سواه الا الله تعالى • والمشهور أن معنى الألوهية • كون الاله معبودا بحق ويلزم من ذلك استغناؤه عن كل ما سواه •

فاذا علمت ذلك علمت أنه اندرج فى استغنائه تعالى عن كل ما سواه هذه الصفات العشرون • التى يجب على كل مكلف معرفتها مع أضدادها • وهي الوجود • الذى هو أول واجب للاله المستغنى عن كل ماسواه • وكذا يلزم من كونه موجودا واجب الوجود • القدم له والبقـــاء • والمخالفـــة للحوادث • والقيام بالنفس • أى لايحتاج الى محل ولا الى مخصص • والوجدانية • ومن وجبت له هذه الصفات وحلت له القدرة المطلقة • والارادة التامة والعلم الشامل المحيط • والحياة • والسمع • والبصر • والكلام المنزة عن المماثلة والمشاكلة لما وجد منها فى المخلوقين • ويجب له تعالى أيضا لازم كل صفة من السبعة المتقـــدمة ولـــزوم القـــدرة كونه تعالى قادرا • وكذا مريدا • وعالما • وحيا • وسميعا • وبصيرا • ومتكلما • كل هذه الصفات جاء بهـــا القـــرآن مفصلة ببراهينها الموجبة وأدلتها المثبته على وجه تخضع له العقول وتذعن له الافهام ولو انتفى عنه تعـــالى شيء منها لذهبت الالوهية ولما استحق العبادة بحق • ولما أمكن ان يوجد شيئا من الحوادث لكن عدم امكان ايجاد شيء من الحوادث باطل لمصادمته للحس والمشاهدة فى خلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما ومصادم الحس البـــديهية بطلانه غنى عن الاعلان والتنبية •

فاذا عرفت هذا ، عرفت أن الكلمة الشريفة وهى لا اله الا الله جمعت جميع عقائد التوحيد اذ معناها أن لا مســتحق للعبادة الا الله تعالى وحده وهو يوجب نفى الالوهية عن كل ما سواه كما هو منطوق الحصر المستفاد من النفى والاثبات وهذا يستلزم بالبداهاة توحيد الذات والصفات والافعال •

واذا تبين لك دلالتها على جميع عقائد التوحيد لاح لك أن الشارع الشريف لأمر ما جعلها مفتاح الاسلام . وأساس الدين وهداية الأنام من انس وجن وما فوق ذلك من عالم المـــلا الأعلى وما يتصل به من عالم الروح القدس وبهذا ينكشف لك سر قوله عليه الصلاة والسلام أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله » والدليل على أنهـــا جمعت مراتب التوحيد الحديث الذى خرجه أبو نعيم عن خرجه أبونعيم عن عياض الاشعرى أنه ﷺ قال: «لاآله الاالله كلمة كريمة ولها عند الله مكان جمعت وسولت من قالها صـــادقا من قلبـه دخل الجنة » فيؤخذ من بيان من لاينق عن الهوى ﷺ أنها جمعت جميع مراتب التوحيد للحق عز وجل فى الذات والصـفات والأسماء والأفعال . هذا وحديث البطاقة المروى عنـــد أصحاب السنن والمسانيد أشهر . من أن يذكر .

وبالجملة أن لها فضائل لاتحصى ، ومنـــافع فى الدين والدنيا والآخرة لاتستقصى . وانها لتوصل قائلها بالاخلاص الى المقام الأقصى ـ وقد ألفت كتب فى فضلها ، وكيفيـــة النطق بها فى الذكر ، وآداب أستعمالها ، فلا نطيل الكلام هنا فليراجع فى محله .

فيا أخا العقل ، أيليق أنكار هذا العلم الموصل العقول الى معرفة صفاته التى هى أساس العلوم والهـــدايا ومنـــاط التكاليف والشرائع وهو علم التوحيد الذى أطبق الســـلف والخلف على وجوب دراســـته صـــونا للعقائد من طعن الطاعنين وشبه المبطلين . ثم هل يليق القدح البذىء فى علم التوحيد وذم المشتغلين به من سلف الأمة وخلفهـــا بمثل ذلك الهراء الذى لاينفك عنه دعاة الوهابية الضالين وهم الغمر البلهاء والخرق السفهاء (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبــه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) .

للمتكلمين فى التوحيد مذاهب

من الواجب علينا قبل كل شىء أن نبين ما هو وجه الخلاف بين المتكلمين . وما سبب تشعب آرئهم فى الطريق الموصلة الى معرفة الله تعالى وان كان الكل موصلا الى الغرض المطلوب فى المعرفة التى ورد بها الأمر الالآهى فنقول ان الله تعالى لما أمر عباده بتوحيده جل شأنه . وجعل ذلك فرضا أوليا . وحكما شرعيا . بل هو أهم الاحكام الشرعية وأساسها الذى تدور عليه . ومرجعها اليه . وهو غاية الغايات فى الوجود والانعام لم يقصرها فى الفهم على طريقة واحدة ونظر واحد بل تكرم سبحانه على عباده فجعلهم أنواعا مختلفة فى الفهم والادراك . وجعل الطرق الموصلة الىمعرفته تعالى متعددة ومسالك متنوعة فى النظر والفهم كما يشير الى ذلك تنويع البراهين وكثرة الآيات ومثل ذلك فى بيانه الشريف ﷺ ليأخذ كل من المطالبين بمعرفته عز وجل على قدر استعداده وسعة مداركه . ولذا قال بعض المحققين . ان سألت عن أسمائه فقد قال (ولله الاسماء الحسنى) وان سألت عن صفاته فقد قال (قل هو الله أحد) الخ السورة وان سألت عن أقواله فقد قال (انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) . وان سألت عن أفعاله فقد قال : (كل يوم هو فى شأن) وان سألت عن نعته فقد قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) وان سألت عن ذاته فقد قال تعالى (ليس كمثله شىء) .

ولعله قد اتضح لك مما أسلفنا أن الله تعالى هو الذى نوع غرائز من حفظ بهم دينه . وثبت بهم قواعده . وشيد بهم بنيانه .

فمنهم من جعل علم التوحيد مقصورا على ما اشتملت عليه كلمة «لا آله الا الله»من الصفات التىلاتحقق معرفة الاله

المعبود بحق الا بها ٠ وجعلها سهلة لمأخذ للعـــامة ٠ وهى الصفات الالهية ٠

ومنهم من نظر اليها من حيث انها عقيـــدة ٠ ولايتحقق الايمان الا بها ٠ فضم اليهـــا باقى مايجب على كلّ مكلفّ اعتقاده من السمعيات ٠

ومنهم من أثبت لكلّ صفة من الصـفاتّ لآزمها دائمـــة الأفعالّ ٠ والأضداد ٠ وبرهنّ على ذلكّ بالأدلـة العقليـة والنقلية ٠ ليرقى بذلك طالب العلم الى حد يمكنه به أقامة البراهين على ذلك ٠ لتقوى الحجة وتنقطع الخصومة ٠

ومنهم من وسع فى النظر والاستدلال وجعله شرطا فى الحصول على معرفته تعالى بقدر الطاقة البشرية ٠

ومنهم من ضم الى ذلك المطالب العالية والمواقف الهـامة وذكر كل ما يرد عليها ٠ ودفع الشبه التى عسـاها أن ترد حتى وصل بها الى حد الفلسفة فى الكلام ثم دونوا كل ذلك وحفظوه بمراتبه وتطوراته جيلا بعـد جيل وســـموه علم التوحيد وعلم الكلام وأضحى موردا عـذبا لكل طالب على اختلاف درجاتهم ومراتبهم فى طلبه وتعاطيـه حتى اذا ما جاء القاصد الراغب فى أى مرتبة من مراتب التوحيد وجد غيره بتوفيق الله تعالى قد مهد له السبل ٠ وما عليه الا أن يـــرد ويتـــدبر ويفهم ان من وفقهم الله تعـالى للقيـــام بتدوين هذا الفن العظيم ٠ هم أئمة نجباء أفاضل عظمـاء منتقون قد نشأهم الله تعالى على هذا الاستعداد ٠ كما وفق وقيض لكل فن رجالا مما يحتاج اليه فى فهم كـــلام رب العالمين حتى لايحتاج الدين الاسلامى الى شىء من البيان فى أصوله ومستلزمات فروعه ليتحقق قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وهذا الحفظ بلا مـراء انما كان بتوفيقه رجالا من خيرة هذه الامة أقامهم حراسا أمنـاء يحفظون أصوله وفروعه ويدفعـــون عنه مكايد الشـيطان

وحزبه كما قال (لا يأتيه الباطـــل من بين يديه ولا من خلفه) وهذه هى سنة الله تعالى فى خلقه • لأنا وجدنا أن الله تعالى يقيض فى كل زمان رجالا يقومون بجميع ما يحتاج اليه بنو البشر • برغبات شديدة وتوجيهات عظيمة متلذذين لاينصرفون عما يعملون • حتى يقضى الله تعالى لهم أمرا كان مفعولا فترى الصانع والمنتج والتاجر المدبر والعالم العامل كل يعمل برغبة شديدة لايعدل عما هو فيه بجد واجتهـاد كأنه مسوق الى ذلك بالقوة والقهر • وفى الواقع أنه مسوق بمعنى ميسر لما خلق له • لما سبق فى علم الله تعـالى وكان ذلك بمقتضى تكوينه فتجده منكبا على ما خلق لأجلـــه مستعذبا ذلك أيا كان ليؤدى به عملا ظاهـــرا فى الحياة الدنيا لينفع به غيره (ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) وقال الصادق المصدوق صلاوات الله وسلامه عليــه «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» •

واعلم أنه من نظر بعين اليقين وجد أن الذى جعل التوحيد مراتب • انما هو الله سبحانه وتعالى ـ كما هى سننه عز وجل فى جميع الأحكام التى شرعها لعباده تسهيلا لهم ، وتخفيفا عليهم ، ورحمة بهم (أن الله بالناس لرؤوف رحيم) وعليــه بيان حضرته ﷺ • اذ بين لنا أن أقل ما يثبت به الايمان • اثبات الكمال لله تعالى • واستحالة النقص عليه تعـــالى • وهو المثل الاعلى الذى رضيه تعالى من عبـــاده • فقـال تعالى : (وله المثل الاعلى) وقد رضـيه الذى لاينطق عن الهوى فى حديث الجارية المشهور • وحـــديث الاعرابى • وعليه فقد فتح باب المثل فى الحديث المشهور «أن تعبد الله كأنك تراه» الحديث • وقد رضى صلوات الله وسلامه عليه فى بيانه الشريف قبول ايمان من قال «لا آله الا الله» بدون نظر ولا استدلال • ومنه ما يحتاج فيه الى نظر واستدلال وذلك لأنه لايحسن تصديق الا بعد تصور قال تعالى (وتلك

الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وهم الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغى • لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا هذه الآية قال : ـ

«العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» واذا كان العالم الذى يطلق عليه هذا الوصف لايتعقل معرفة الله تعالى • ولايتدبر الآيات الدالة على معرفته • فكيف يكون عارفا بالله ؟ انما العارف من عقل كل شىء على ما ينبغى • اذ من العباد من لاتحصل له المعرفة بالله تعالى • ولايثبت لديه اليقين الا بعد أقامه البراهين العقلية والنقلية والوقوف على معرفة الأسباب والمسببات • وضرب الامثال وهكذا حتى يدب اليقين فى قلبه ويخرج الشك منه • ويشرح الله تعالى صدره بنور معرفته فيصبح من الموقنين • ومن هذا تعرف أن التوحيد ليس على حالة واحدة •بل هو مراتب وأيضا الايمان وكل ما يدرك كذلك • وبهذا جاء القرآن قال تعالى (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ولاشك أو أول ما يدعو اليه ﷺ هو توحيد الله تعالى • والتعرف اليه عز وجل • وذلك ببيان آياته تعالى الدالة عليه وشرح آثار قدرته الهادية اليه بضرب من الحكمة البالغة المتمثلة فى ارشاداته ﷺ ثم بالموعظة الحسنة التى تلقى النور وضياء الحق على القلوب فى رفق الحكيم وعطف الودود الرحيم • هذا وان شئت قلت ان الدلائل التى نصبها الحق عز وجل على معرفته • وهى آثار الصفات كثيرة غير منحصرة • فكذلك كانت أفهام الباحثين لم تقف عند حد • بل أدى كل بقدر مافهم • وبما وسعه من العلم والادارك • والمعرفة فى ذلك • وان تشأ فقل ان موجد الكائنات جل وعلا عالم بما سيكون من أمر المخالفين المضلين وموردى الشبه فى كل جيل وزمان •

فأنزل القرآن مبينا لاحوالهم شاملا فى كل جيل وزمان ۰ ليتحقق معنى قوله تعالى (تبيانا لكل شىء) (وتفصيل كل شىء) (مافرطنا فى الكتاب من شىء) ۰

الله خلق الموجودات على معرفته بالفطرة

من المعلوم عقلا ونقلا أن الموجد للكائنات هو الحق عز وجل ۰وأن الكائنات هى آثار صفاته تعالى التى لاتتناهى ۰ واشراق أنوار أسمائه سبحانه ولاشك ان اثر الشىء هو ما يظهر عنه فى الوجود ضرورة اذ لايعقل وجود اثر مجردا عن مؤثره خياليا عنه غير مشتمل على الشىء من اسرار مؤثره والا أنقطعت صلته بالمؤثر فتنعدم فائدته وهذا لاشك بديهى البطلان لما نشاهده فى العوالم العلوية والسفلية من اسرار المؤثر كالوجود والقدرة والاراده والعلم والحياه وغير ذلك مما هو من صفاته الثابته له تعالى وبديهى ان اثار الصفات شاهدة عليها ناطقة بها فوجود المكونات ناطق بوجود المكون الخالق وما فى الخلق من قدرة وارادة وعلم وحياة وسمع وبصر وغيرها من الكمالات يوجب ثبوتها للخالق على نحو أرقى ووجه أكمل من وجودها فى المخلوق اذ هى فى المخلوق منح وعطايا قابلة للتغير والزوال ولكنها فى الخالق لوازم عقليه لاتنفك ولاتعقل الذات بدونها ۰

وقد قام البرهان العقلى على أن وجود هذه الآثار التى هى الايات قد خلقها الله تعالى لحكم لاتحصى ۰ وفوائد لا تستقصى ۰ والا لزم عليه بطلان ذلك ۰ وقد قال تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا) ۰

فمن تدبر بعين البصيرة ۰وجد أن ما من كائنة فى الوجود من جميع العوالم الا وتعرف الله تعالى بأنه هو المبدع لها علوية كانت أو سفلية (وان من شىء لا يسبح بحمده)

ولايسبح الا العارف بخالقه الحى ولو ميتا فى قبره٠ (وجعلنا من الماء كل شىء حى) ومن المعلـــوم أن الميت شىء ولو كالرماد ٠ حتى من لم يؤمن بالأنبياء لاينكـر معــــرفة الله تعالى ٠ (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقــولن الله) ٠

فاذا عرفت هذا فقد بان لك أن مبدع الكائنات جل وعلا هو المعرف لعباده ، الملهم لهم ، الفياض عليهم ٠ وقد خلقهم على معرفته تعالى ٠ وقد أخذ عليهم العهد والميثاق وهم فى عالم الذر وقد سبق علمه تعالى بأن منـــهم من لم يرق ولو بالنظر للمعرفة ولو لأقل درجة من درجات الكمـــال بمقتضى تكوينه له (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفســـــهم الست بربكم قالـــوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هــــذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعـــــدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون) ولاشـــتمال الخلق على ما هم عليه من أسرار التكوين وآثار الصفات لايجهل منهم أحــد معرفته تعالى بالفطرة (فطرة الله التى فطر الناس عليهـــا) قال الصادق المصدوق ﷺ «مامن مولود الايولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو يهــودانه أو ينصرانه» رواه البخـــارى ومسلم ٠ ثم ان الله تعالى جعل من الكائنـــات ما لا يرقى بالاستعداد فى تكوينه الى المعرفة المكتسبة بالنظر والاستدلال وبقى على حال الفطرة كالجماد والنبات والحيوان الاعجم وسائر من لم يرزق عقلا مفكرا ومنهم من رزق عقلا مفكرا ولكنه درج على سنة البهائم والجمادات فى عدم النظـــر والاستدلال الموصل الى المعرفة البرهانية وهم الكفرة ومن على شاكلتهم من أهل الغفلة والاعراض عن الحق ومنهم من وفقه وجعل فى تكوينه الاستعداد الكافى الذى عرف به الخالق الاكبر وفطن للادلة النقلية والعقلية على وجوده تعـــالى ٠

واثبات كل كمال له عز وجل • واستحالة كل نقص عليه • وجعل جل حياته النظر فى ذلك • وارتقى بتلك المبادىء حتى وصل الى مقام القرب والاحسان • اذ ما من كمال الا وعند الله اكمل منه (وللاخرة خير لك من الاولى) (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (ويزيدهم من فضله) •

ولايخفى عليك أن المؤمن يرقى عند الله تعالى بالطاعة الى المعرفة وهى الغاية المطلوبة من هذا الوجود • وأن الكافر ينزل فى الشقاوة الى أسفل الدركات وأحط المقامات • (ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولايزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) ومن هنا تعرف أن الصانع المبدع قد جعل جميع العقلاء من المكونات على حالتين • وجعل كل واحد منهم يطب التدرج فيما هو بصدده الى المنتهى •

ولاتنس أن الذين عرفوا الله تعالى بهذه الادلة عرجوا على ارشادات الرسل عليهم الصلاة والسلام • ففهموا بها أسرار المكونات للحق عز وجل فدرجوا الى اوج الكمالات والمعالى فاصبحوا (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) •

ولايخفى عليك أن منهم من خلقهم الله تعالى على المعرفة فنشاوا عارفين لله تعالى • وليس لهم عمل فى هذه الحياة الا الطاعة لربهم (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهة ولاتعد عيناك عنهم •

ومنهم من لايعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون • هذا من الملائكة • ومثلهم من الادميين • (وما فعلته عن أمرى) ومنهم من خلقوا للمشاهدة والنظر لوجه الكريم من الملائكة يسبحون الليل والنهار لايفترقون) ومن الادميين أيضا (يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهة) •

فانظر صنع المبدع الجليل البارى الكبير . الذى جعل كل شىء أنواعا . وى كل شىء خصوصيات . ومزايا (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (الذى أحسن كل شىء خلقه) (فتبارك الله أحسن الخالقين) .

الفصل الثالث

فى أن الانبياء والمرسلين هم المثل الاعلى فى معرفه رب العالمين

أعلم أنه مامن نبى ولارسول دعا قومه لتوحيد رب الارباب الا سأله قومه عن رب العالمين الذى يدعو اليه .

فكان جواب الجميع واحدا لايخرج عن نمط واحد . وهو تعريف رب العالمين اليهم يذكر صفاته . ونعوت ربوبيته .

وهاكم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام (اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم واباؤكم فى ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق أم انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين) فهذا الخليل ابو الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذى سماه الحق عز وجل بابيكم ابراهيم فى قوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وهو الذى أقام البراهين العقلية على قومه التى ارتضاها الحق عز وجل بأن تكون منهاجا لعباده فى قمع الخصم الألد . وقطع لسان العدو الأبى . فقال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) فأنت ترى الجليل الكبير مع ماهو عليه من عظم المكانة فى معرفة ربه لما سأله قومه وقالوا أجئتنا بالحق أجابهم عليه السلام معرفا لهم بآثار صفاته تبارك وتعالى فى جميع

مكوناته بقوله (رب السموات والارض الذى فطرهن) أى خلقهن . ولثقته عليه السلام بآثار صفات ربه قال لهم فى موضع آخر فيما اختص به سبحانه وتعالى دون غيره من خلقه بقوله (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين) .

فها هو عليه السلام لم يجب قومه بشىء ما يشبه صفات الحوادث ولانسب اليه تعالى شيئا من ذلك . بل كان تعريفه لقومه . وبيانه لهم عن البارى جل وعلا بآثار الصفات .

وها هو سيدنا موسى عليه السلام أيضا قال لفرعون (انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال ان رسولكم الذى أرسل أليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) .

فترى سيدنا موسى عليه السلام ذكر لفرعون المستفهم عن حقيقة رب العالمين . الصفات التى بها يمتاز عن سائر الموجودات . والتى يستحيل فيها المشاركة .

وعلى هذا النمط درج جميع الأنبياء من لدن آدم فى تعريف رب العالمين بالصفات الكمالية . والنعوت الربانية . من الملك والسلطان . والقهر على السموات والأرض وما فيها أجمعين من الأولين والآخرين ولاترى فى جواب واحد من الرسل الكرام ذكر جوارح . أو أعضاء . أو صفات فيها مشاركته تعالى لغيره من الموجودات وبهذا تعلم مبلغ ضلال من جنح وشذ فى تعريف رب العالمين عن جادة الانبياء والمرسلين الى اختراع الجوارح والأعضاء وصفات الخلق من

الحركة والصعود والنزول والقيام والقعود والجلوس فى الأمكنة المختلفة . يعرف بها ربه للناس اتباعا للمتشابه نابذا للمحكم الصريح معرضا عن سنن الأنبياء الذين هم أهل المعرفة والتوحيد . وها هو سيد العالمين الذى أعطى من السعة العلمية فى المعرفة مالم يعطه غيره من اخوانه الأنبياء والمرسلين .

اذ ما من نبى ولا رسول أرسل لقوم الا وقد أعطى من السعة العلمية بقدر ما يسع الخلق المرسل اليهم (سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلا) . وما من نبى ولا رسول الا وأرسل لقوم مخصوصين الا سيد العالمين فقد أرسل للناس أجمعين (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا)

فبهذا تعلم أنه ﷺ أوسع الأنبياء والمرسلين شرعة ومنهاجا وان كتابه لجميع الكتب السماوية الذى ما ترك الحق عز وجل شيئا من مكوناته الا وذكره فيه من المبدأ للمعاد . وأخبر عز من قائل فيه بذلك (تبيانا لكل شىء) (وتفصيل كل شىء) (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) وقد أعطى حضرته ﷺ بيان ما فى ذلك . كما أخبر ﷺ فى الحديث المروى . عند أصحاب الصحاح (ألا وانى أعطيت القرآن ومثله معه) وفى أخرى «وعشرة أمثاله» الحديث وهذا سيد العالمين ﷺ مع ما هو عليه من بعض ماقدمنا . قد سئل عن ربه جل وعلا من اليهود والمشركين بقولهم له صف لنا ربك يا محمد . وكان من عاداته الشريفة ﷺ اذا سئل عما يكون تشريعا للعباد . وتأسيسا لهم فى العقائد وقواعد الدين وتشريع الأحكام مما يحتاج اليه بنو البشر من المبدأ الى المعاد . ولما يسود عليه الأمر الذى يكون قاعدة لكل ما يقاس عليه من مستحدثات الزمان . ولما كان يعلم ﷺ من أسرار الوحى من أن أقواما من أمته ينكرون بيانه الشريف ،

أو يطعنون فى بعض الاسانيد الموصلة اليه كما قال عنهم ﷺ فى الحديث المروى عند الامام أحمد «رب رجل شبعان متكىء على أريكته يقول ما لنا وللسنة هذا القرآن نأخذ منه ونعمل بما فيه ولا حاجة لنا فى السنة ألا وانى أوتيت القرآن وعشرة أمثاله» فمثل هؤلاء لم يخف أمرهم عليه ﷺ . وكان كما قال الله عز وجل فيه (وما ينطق عن الهـوى) فيثبت لهم بالدليل القطعى السماوى صدق بيانه ﷺ . ففى مثل سؤالهم هذا نزل قول الحق عز وجل (قل هو الله أحد) السورة .

فالخالق الاكبر . والمتعالى الأعظم ، بين لعباده الصفات ولم يبين لهم حقيقة الذات . كما هو بيانه ﷺ . ومنه ما رواه الامام أحمد والترمذى أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك ؟ فنزلت السورة . وعن ابن عباس أيضا أن المشركين قالوا صف لنا ربك يا محمـد ؟ فنزلت السورة . وفى رواية أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال :« ان الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وان الملا الأعلى يطلبونه كما تطلبـونه» . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول ﷺ قال « تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق . فانه لا تحيط به الفكرة » وفى الحليـة لأبى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى الله» وفى أخرى «تفكروا فى الخلق ولاتفكروا فى الخالق فانكم لاتقدرون قدره » .

هذا بيان المشرع الشريف ﷺ فى تعريفه لربه جل وعلا . فهل رأيت فيه ذكر شىء من الجوارح والأعضاء والمكـان والسكون ؟ أو هو على وفاق القرآن الكريم ؟ . بل حـذر الأمة كل الحذر والمنع عن الخوض فى معرفة ذات الخالق

جل وعلا على غير ما شرع وهو ليس له مثيل حتى نتوصل من معرفة ذلك المثيل الى معرفة العظيم الجليل . وهـذا معنى قوله تعالى (ليس كمثله شىء) وعلى هذا البيـان الشريف دأب خيار الأمة سلفها وخلفها من صدر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين الى وقتنا هذا بل الى يوم الدين ان شاء الله . كما علمت أن الحق والضلال مستمران الى يوم الدين ولأجل أن تكون على بينه من ذلك فلنذكر لك نبذا قليلة عن بعض الصحابة فى تعريف الحق جلا وعلا . ومن التابعين وتابعيهم ومن تبعهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه .

فلله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن الجميل على ما أكرمنا به من فضله وكرمه ببيان كل ذلك وتوضيحه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ، أوله « الصحابة يعرفون رب العالمين للناس أجمعين» .

عبد ربه سليمان
من علماء الأزهر الشريف

فهرس الجزء الثانى

من كتاب فيض الوهاب

الموضـــــوع	صفحـــة